

بَرنامِج

"في ظلالِ الكَلِمَةِ"

كُتِبَ رَقْم ٢٣

تَفْسِيرِ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا عِدداً بَعْدَ الْآخِرِ

(الإصحاحات ١-٣)

بِقَلَمِ: القَسِّ الدُّكْتُورِ دِكْ وُودُوورِد

تَرْجَمَةُ: القَسِّ الدُّكْتُورِ بِيَارِ فَرَنْسِيْس

الفصل الأول "نظرة إلى إنجيل يوحنا"

لقد قَدِّمْتُ في كُتَيْبٍ آخَرَ مُمَاحِظَاتٍ لِلَّذِينَ اسْتَمَعُوا إِلَى حَلَقَاتِ بَرَامَجٍ "في ظلال الكلمة"، الَّتِي تُقَدِّمُ مُلَخَّصًا لِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا، خِلَالَ دَرَاَسَاتِنَا الشَّامِلَةَ لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ. وَالكُتَيْبُ الَّذِي أَنْتُمْ الْآنَ بِصَدَدِ قِرَائَتِهِ هُوَ الْأَوَّلُ مِنْ بَيْنِ سِتَّةِ كُتَيْبَاتٍ أُلْخِصُ فِيهَا مِائَةٌ وَثَلَاثِينَ حَلَقَةً إِذَاعِيَّةً، فَسَرْتُ فِيهَا إِنْجِيلَ يُوحَنَّا عِدَدًا بَعْدَ الْآخَرِ.

الرَّسُولُ يُوحَنَّا هُوَ كَاتِبُ هَذَا الْإِنْجِيلِ. خِلَالَ قِرَائَتِي لِهَذَا الْإِنْجِيلِ، بِإِمْكَانِي أَنْ أَعْرِفَ الْقَصْدَ الَّذِي لِأَجْلِهِ كَتَبَ يُوحَنَّا، وَكَذَلِكَ قَصْدِي أَنَا مِنَ الْقِرَاءَةِ، لِأَنَّ يُوحَنَّا يُخْبِرُنَا بِوُضُوحٍ لِمَاذَا كَتَبَ هَذَا الْإِنْجِيلَ الرَّابِعَ: "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قُدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ." يُوحَنَّا ٢٠: ٣٠، ٣١.

"الآيَةُ" هِيَ مُعْجِزَةٌ تُبْرِهِنُ شَيْئًا، أَوْ مَا يُمَكِّنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ "بُرْهَانٌ مُعْجِزِيٌّ". يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا فِي هَذَا الْإِنْجِيلِ أَنَّهُ عِنْدَمَا كَانَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ فِي عَالَمِنَا، حَقَّقَ الْكَثِيرَ مِنَ الْبُرَاهِينِ الْمُعْجِزِيَّةِ، أَوْ الْآيَاتِ. وَفِي الْعِدَدِ الْأَخِيرِ مِنْ هَذَا السَّفَرِ، يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَجَّلْ كُلُّ الْآيَاتِ، أَوْ الْبُرَاهِينِ الْمُعْجِزِيَّةِ الَّتِي حَقَّقَهَا يَسُوعُ. وَيُخْبِرُنَا أَنَّهُ لَوْ سَجَّلَ أَحَدُهُمْ كُلَّ الْآيَاتِ الَّتِي عَمَلَهَا يَسُوعُ، لَمَا اتَّسَعَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ لِلْكَتْبِ الَّتِي كَانَتْ سَتُكْتَبُ عَنْهُ.

يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا أَنَّ هَذَا الْإِنْجِيلَ الرَّابِعَ هُوَ سَجَلٌ مُدَوَّنٌ لِبَعْضِ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَنْجَزَهَا يَسُوعُ. فَيُوحَنَّا شَارَكَ مَعَنَا سَجَلًا بِهَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي إِخْتَارَهَا، لِأَنَّهُ أَرَادَنَا أَنْ نُؤْمِنَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحَ الْمَسِيًّا، ابْنَ اللَّهِ. وَهُوَ مُقْتَنِعٌ تَمَامًا أَنَّ عِنْدَمَا نُؤْمِنُ، سَتَكُونُ لَنَا نَوْعِيَّةُ الْحَيَاةِ الَّتِي يُرِيدُهَا اللَّهُ لِكُلِّ كَائِنٍ بَشَرِيٍّ. وَهُوَ يُسَمِّي هَذِهِ النُّوعِيَّةَ مِنَ الْحَيَاةِ "الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ".

أَمْرٌ آخَرٌ أَحْبَبْتُهُ عَنْ هَذَا الْكَاتِبِ، هُوَ أَنَّهُ يَكْتُبُ لَنَا فِي مَا أُسَمِّيهِ "لُغَةَ الرَّمُوزِ" الْجَمِيلَةَ. فَهَذَا الْإِنْجِيلَ الرَّابِعَ هُوَ مِثَالٌ عَمَّا قَصَدَهُ بُولُسُ عِنْدَمَا كَتَبَ يَقُولُ أَنَّ "الْيَهُودَ يَطْلُبُونَ آيَةً." (١ كورنثوس ١: ٢٢) هَذَا الْإِنْجِيلَ هُوَ مِثَالٌ عَنِ لُغَةِ الرَّمُوزِ الْكِتَابِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ الَّتِي اسْتَعْدَمَهَا الْيَهُودَ.

عندما كتب يوحنا سفر الرؤيا، وصف في العدد الأول من هذا السفر الظروف التي فيها أُعطيَ له هذا الإعلان، بالكلمات التالية: "إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه إياه الله ليُريَ عبده ما لا بدَّ أن يكون عن قريب وبينه مُرسلاً بيد ملائكته لِعَبْدِهِ يوحنا." إن كلمة "بينه" مُثيرة للإهتمام. وما يقوله يوحنا هو أن الشكل الأدبي للإعلان الذي أُعطيَ له من قِبَلِ الله على جزيرة بطمس كان "لغة رمزية روحية." ويضيف الرسول بولس نظرة إضافية على مفهوم هذه الكلمة، عندما يكتب عن التاريخ العبري قائلاً: "فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثلاً وكتبت لإذارنا نحن الذين إنتهت إلينا أوأخرُ الدهور." (١ كورنثوس ١٠: ١١).

عندما قال بولس أن كل هذه الأمور التي حدثت لليهود في التاريخ الكتابي، حدثت لتكون مثلاً، إستخدم الكلمة اليونانية *Tupos*، التي تعني نموذجاً، مثل نموذج الطباعة. يُخبرنا بولس أن أدب الكتاب المقدس التاريخي مملوء بأمثلة وتحذيرات تُقدّم بشكل مجازي. فإذا فتشت عن معنى كلمة مجاز في القاموس، تجد أن "المجاز هو قصة يتخذ فيها الأشخاص، الأماكن، والأشياء، معنى عميقاً مختلفاً، غالباً ما تكون له دلالة التعليمية، الروحية أو الأخلاقية."

يتكلم بولس الرسول أيضاً عن أنه كان لإبراهيم إبنان. يُعتبر هذا تاريخاً وليس خرافة. ولكن بعد أن أخبرنا بولس أنه كان لإبراهيم إبنان، أخبرنا بولس أن هذا مجاز. (غلاطية ٤: ٢٢ - ٢٤). لهذا، وضع بولس هذا كسابقة نتعلم منها: أنه في الكتاب المقدس، بإمكاننا أن نكتشف حقيقة تاريخية تمّ تعليمها مجازياً. هذا يعني أن الأشخاص والأماكن والأشياء المذكورة في مقطع كتابي معين - كابني إبراهيم مثلاً - إتخذت معنى أعمق، نتعلم من خلالها أموراً روحية.

هذا ما أقصده عندما أقول أن الرسول بولس كتب الإنجيل الرابع، كما كتب سفر الرؤيا، مُستخدماً لغة الرموز اليهودية المجازية. فسفر الرؤيا، الذي كتبه يوحنا، هو رسالة لشعب الله، ولكن بطريقة مشفرة سرية. فإذا أردنا فهم هذه الرسالة، ينبغي أن يكون لدينا المفاتيح التي تُفكُّ أغاز هذه الرسالة المشفرة. ومعنى ما، هذا ما يصحّ على إنجيل يوحنا.

كُتِبَ إِنْجِيلُ يُوحَنَّا عَلَى مُسْتَوَيْنِ. فَلَدِيهِ مُسْتَوَى يَسْتَطِيعُ الطِّفْلُ أَنْ يَفْهَمَهُ؛ وَيَسْتَخْدِمُ كَلِمَاتٍ مُبَسَّطَةً قَصِيرَةً جَدًّا. وَيُعْتَبَرُ إِنْجِيلُ يُوحَنَّا الْأَبْسَطَ بَيْنَ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ. وَلَكِنْ، عِنْدَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ يُوحَنَّا يَكْتُبُ بِلُغَةِ الرُّمُوزِ هَذِهِ، تُدْرِكُونَ أَنَّهُ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، هُنَاكَ دَائِمًا ذَلِكَ الْمَعْنَى الْأَعْمَقُ. فَهُنَاكَ دَائِمًا ذَلِكَ الْمَعْنَى الْآخَرُ، حَيْثُ تَتَّخِذُ الْأَشْخَاصُ وَالْأَمَاكِنُ وَالْأَشْيَاءَ مَعْنَى آخَرَ، يُعَلِّمُنَا أُمُورًا رُوحِيَّةً. عِنْدَمَا تَفْهَمُونَ هَذَا، تُدْرِكُونَ عِنْدَهَا أَنَّ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا، حَتَّى وَلَوْ كُتِبَ بِأَبْسَطِ لُغَةٍ، فَهُوَ أَعْمَقُ إِنْجِيلٍ بَيْنَ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ. وَلَكِنْ لِكِي تَفْهَمُوا هَذَا الْمَعْنَى الْأَعْمَقُ، تَحْتَاجُونَ إِلَى مِفْتَاحٍ تُفَسِّرُ الشِّيفْرَةَ.

إِذَا قَرَأْتُمْ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا، مُدْرِكِينَ أَنَّ هَذَا الْإِنْجِيلَ كُتِبَ لِشَعْبِ اللَّهِ بِلُغَةٍ رَمَزِيَّةٍ مُوَحَىٰ بِهَا بِطَرِيقَةٍ خَارِقَةٍ لِلطَّبِيعَةِ، أَوْ بِلُغَةٍ رَمَزِيَّةٍ مُشْفَّرَةٍ، وَإِذَا رَغِبْتُمْ بِأَنْ تَحْصُلُوا عَلَى الْمِفْتَاحِ الَّتِي تُفَكُّ الْغَازَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُشْفَّرَةَ، سَوْفَ تُحِبُّونَ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا بِحَقِّ. فَقَبَلِ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى إِنْجِيلِ يُوحَنَّا الرَّائِعِ هَذَا، عَدَدًا بَعْدَ الْآخَرِ، أَوْدُ أَنْ أُشَارِكَ مَعَكُمْ بَعْضَ الْمِفْتَاحِ الَّتِي تُفَكُّ الْغَازَ الشِّيفْرَةَ الْجَمِيلَةَ الْمَوْجُودَةَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا.

الْمِفْتَاحُ الْأَوَّلُ الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أُشَارِكَكُمْ بِهِ هُوَ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ. فَبِإِسْطَاةٍ، لَيْسَ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نُمَيِّزَ الْحَقِيقَةَ الرُّوحِيَّةَ، إِلَّا إِذَا سَكَنَ الرُّوحُ الْقُدُّوسُ فِي حَيَاتِنَا (١ كُورِنْثُوسَ ٢: ٩ - ١٦؛ يُوحَنَّا ١٦: ١٣). يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ عَنِ السَّبَبِ، عِنْدَمَا يَكْتُبُ قَائِلًا أَنَّ "الْحَقِيقَةَ الرُّوحِيَّةَ تُمَيِّزُ رُوحِيًّا." فَالْإِنْسَانُ غَيْرُ الرُّوحِيِّ أَوْ الطَّبِيعِيِّ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ الْحَقِيقَةَ الرُّوحِيَّةَ، وَنَتِيجَةً لِهَذَا الْوَاقِعِ، الْإِنْسَانُ غَيْرُ الرُّوحِيِّ سَوْفَ يُسَمِّي الْحَقَائِقَ الرُّوحِيَّةَ الْكُبْرَى بِالْجَهَالَةِ، بِحَسَبِ قَوْلِ بُولُسِ الرَّسُولِ. لِهَذَا، فَالْمِفْتَاحُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نَحْصُلَ عَلَيْهِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَفَكَّ الْغَازَ هَذَا الْإِنْجِيلِ الرَّابِعِ الْعَمِيقِ، هُوَ أَنْ نَتَمَتَّعَ بِإِسْطَاةٍ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ كَمَا عَلَّمْنَا لَنَا.

الْمِفْتَاحُ الثَّانِي الَّذِي يَفَكُّ الْغَازَ هَذَا الْإِنْجِيلِ الرَّابِعِ، هُوَ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ ٩٠% مِنْ مُحْتَوَى إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، لَا نَجِدُهُ فِي أَنْجِيلِ مَتَّى، مَرْقُسَ، وَلُوقَا. لِهَذَا سُمِّيَتْ أَنْجِيلُ مَتَّى، مَرْقُسَ وَلُوقَا، "بِالْأَنْجِيلِ الْمُتَشَابِهَةِ النَّظَرَةِ." فَمُحْتَوَى هَذِهِ الْأَنْجِيلِ مُتَطَابِقٌ. وَلَكِنَّ ٩٠% مِمَّا هُوَ مَوْجُودٌ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا لَا نَجِدُهُ فِي الْأَنْجِيلِ الْمُتَشَابِهَةِ النَّظَرَةِ أَوْ الْمُتَطَابِقَةِ الَّتِي

هي أناجيل متى، مرقس، ولوقا. هذا يعني أن ما كُنَّا سنعرِّفه عن هذه التسعين بالمائة من الأمور التي نقرأها في إنجيل يوحنا، لما كان ممكناً لو لم يكتب يوحنا هذا الإنجيل الرابع. مفتاح ثالث ينبغي أن يكون لدينا عندما نقترِب من الإنجيل الرابع هو أن ندرك أنه السفر الكتابي الوحيد الموجه لغير المؤمنين: أخبرنا الرسول بولس بإقتناع عميق، أن "كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر، لكي يكون إنسان الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح". بمعنى ما، يُخبرنا هذا المقطع الذي قرأناه من ٢ تيموثاوس ٣: ١٦، و١٧، عن القصد الذي من أجله دُوِّن الكتاب المقدس بكامله. فالقصد من الكتاب المقدس بكامله هو أن يكون إنسان الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح أرادَه له اللهُ الآب.

هذا يعني أنه تُوجد رسالة واحدة في الكتاب المقدس لغير المؤمن: أن يتوب ويؤمن بالإنجيل. وعندما يتوب غير المؤمن ويولد ثانية، يعطيه اللهُ سِتَّةً وستين سفرًا مقدساً، بما في ذلك إنجيل يوحنا، التي ستعلمه، وتؤهله، وتكمله لكل عمل صالح يريدُه اللهُ أن يعملَه.

وسوف نرى أنه يُوجد الكثير من الحقيقة التَّعبديَّة في إنجيل يوحنا، الذي يحتوي على الكثير من المنفعة للمؤمن. ولكن هذا السفر موجه بوضوح لغير المؤمن بهدف أن يصبح مؤمناً. هذا يجعل من إنجيل يوحنا سفرًا فريداً في لائحة أسفار الكتاب المقدس القانونية. هذا القصد التبشيري من إنجيل يوحنا هو مفتاح آخر لفهمنا لهذا الإنجيل العظيم.

حُجَّةُ إنجيل يوحنا الرئيسيَّة

هناك مفتاح آخر علينا أن نتأمل به عندما نقترِب من إنجيل يوحنا، وهو أن ندرك أن هناك تسلسلاً منطقيًا عبر إنجيل يوحنا بكامله. فأنجيل متى، مرقس، ولوقا هي سير حياة فريدة لشخص المسيح. ولكل منها هدفه، ولكن ليس فيها تسلسل منطقي بنفس الطريقة التي نجدُها في الحُجَّة الرئيسيَّة في إنجيل يوحنا.

هذه الحُجَّة المذكورة في هذه الأعداد التي قرأناها من نهاية الإصحاح العشرين من إنجيل يوحنا، حيث أخبرنا كاتب هذا الإنجيل أنه دُوِّن لنا هذه الآيات التي صنعها يسوع، "لكي نُؤمن أن يسوع هو المسيح، ابن الله، ولكي تكون لنا إذا آمنَّا حياةً باسمه." (يوحنا ٢٠: ٣١، ٣٠) عندما تكتشف هذه الحُجَّة المنطقيَّة، خاصةً ذلك الجزء من الحُجَّة الذي

يُخْبِرُنَا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحَ، الْمَسِيَّا، ابْنَ اللَّهِ، وَالَّتِي تَمَّ تَقْدِيمُهَا عِبْرَ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا بِأَكْمَلِهِ، تَكُونُ قَدْ اكْتَشَفَتْ مِفْتَاحًا آخَرَ لِهَذَا الْإِنْجِيلِ الْعَظِيمِ.

ثَلَاثَةُ أَسْئَلَةٍ

بِنَاءً عَلَى حَقِيقَةِ أَنَّ يُوحَنَّا أَعْطَانَا بَوْضُوحَ تَعْرِيفًا لِهَدْفِهِ مِنْ كِتَابَةِ هَذَا الْإِنْجِيلِ، هُنَاكَ مِفْتَاحٌ آخَرَ سَيُسَاعِدُنَا بَيْنَمَا نَقْرَأُ عِبْرَ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. هُنَاكَ ثَلَاثَةُ أَسْئَلَةٍ سَوْفَ يُجِيبُ يُوحَنَّا عَنْهَا عِبْرَ إِنْجِيلِهِ. فِي كُلِّ إِصْحَاحٍ مِنْ إِصْحَاحَاتِ هَذَا الْإِنْجِيلِ، سَوْفَ يُجِيبُ يُوحَنَّا عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الثَّلَاثَةِ. السُّؤَالُ الْأَوَّلُ هُوَ: "مَنْ هُوَ يَسُوعُ؟" فَيُوحَنَّا يُخْبِرُنَا عِبْرَ كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْ إِنْجِيلِهِ عَمَّنْ هُوَ يَسُوعُ.

سُّؤَالٌ ثَانٍ يُجِيبُ عَلَيْهِ يُوحَنَّا هُوَ: "مَا هُوَ الْإِيمَانُ؟" وَمَاذَا يَعْنِي أَنْ تُؤْمِنَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ عَنْ يَسُوعَ؟ فَيُوحَنَّا لَنْ يَقُولَ لَنَا فَقَطْ بَأَنَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ، بَلْ وَيُخْبِرُنَا أَيْضًا مَاذَا يَعْنِي الْإِيمَانُ. وَيُخْبِرُنَا مَا هُوَ الْإِيمَانُ. وَيُظْهِرُ لَنَا وَيُخْبِرُنَا بَعْدَةَ طُرُقٍ رَائِعَةٍ مَا هُوَ الْإِيمَانُ. ثَمَّ، السُّؤَالُ الثَّلَاثُ الَّذِي نَجِدُ يُوحَنَّا يُجِيبُ عَلَيْهِ بِاسْتِمْرَارٍ، إِصْحَاحًا بَعْدَ الْآخَرِ فِي هَذَا الْإِنْجِيلِ هُوَ: "مَا هِيَ الْحَيَاةُ؟" مَا هِيَ هَذِهِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ الَّتِي تُخْبِرُنَا عَنْهَا يَا يُوحَنَّا؟ سَوْفَ تَجِدُ هَذَا السُّؤَالَ يُجَابُ عَلَيْهِ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا فِي كُلِّ إِصْحَاحٍ بَعْدَ الْآخَرِ مِنْ هَذَا الْإِنْجِيلِ الْعَظِيمِ.

لِهَذَا، بَيْنَمَا تَقْرَأُ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا، سَتُسْكَكُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ الثَّلَاثَةُ وَأَجُوبُوتُهَا مِفْتَاحًا هَامًّا يَفُكُّ أَلْغَازَ الرِّسَالَةِ الْمُسْفَرَّةِ فِي هَذِهِ اللَّغَةِ الرَّمَزِيَّةِ الَّتِي سَتَجِدُهَا فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. إِقْرَأْ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا، إِصْحَاحًا بَعْدَ الْآخَرِ، بَاحِثًا عَنْ أَجُوبَةٍ عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الثَّلَاثَةِ: مَنْ هُوَ يَسُوعُ؟ مَا هُوَ الْإِيمَانُ؟ وَمَا هِيَ الْحَيَاةُ؟

مَتَحَفُّ اللَّوْحَاتِ الرُّوحِيَّةِ

نَقْرَأُ أَنَّ بَعْضَ الْيُونَانِيِّينَ إِقْتَرَبُوا مِنَ الرَّسُولِ فِيلِبُّسَ قَائِلِينَ لَهُ، "يَا سَيِّدُ، تُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ." (يُوحَنَّا ١٢: ٢١) يُشِيرُ طَلَبُ هَؤُلَاءِ الْيُونَانِيِّينَ إِلَى مِفْتَاحٍ حَيَوِيٍّ آخَرَ لِفَهْمِ وَتَقْدِيرِ أَعْمَقِ إِنْجِيلِ بَيْنَ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ: إِقْرَأْ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا طَالِبًا أَنْ تَرَى يَسُوعَ. وَالآنَ، أَوَدُّ أَنْ أُشَارَ كُكُمْ بِالْمِفْتَاحِ الْأَخِيرِ فِي إِطَارِ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ لِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا، وَهُوَ التَّالِي: أَنَّ الْإِصْحَاحَاتِ الْأَحَدَ وَالْعِشْرِينَ فِي هَذَا الْإِنْجِيلِ هِيَ مِثْلَ مَعْرَضٍ لِلْفَنِّ الرُّوحِيِّ.

تصوّروا أنّ إنجيل يوحنا هو معرض الفنّ الرُّوحِيّ، وكلُّ إصحاحٍ من إصحاحاته هو بمثابة قاعةٍ جديدة في معرض الفنّ الرُّوحِيّ هذا. وعلى جدران (أي أعداد) هذه القاعات (أي الإصحاحات)، تجدون صوراً رائعةً للرّبِّ يسوع، بالطبع بالمعنى المجازي للكلمة. لقد قرأتُ إنجيل يوحنا مُستخدِماً وجهةَ النَّظَرِ هذه كمفتاحٍ لقراءتي لهذا الإنجيل. ولقد تأملتُ بطريقي عبرَ إنجيل يوحنا هذا، وتوصّلتُ إلى الصُّورِ الجميلة التالية عن شخص المسيح:

في الإصحاح الأوّل: إنّه الكلمة، الكلمة الذي صارَ جسداً، إنّه الخالق، إنّه الحياة والنور، إنّه النور الحقيقي الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ والذي جاء إلى هذا العالم، إنّه مُعطي القوّة ليُصيح الناسُ أبناءَ الله، إنّه الحمل الذي جاء ليرفعَ خطيئةَ العالم، إنّه الممسوح، إنّه ابنُ الله، المسيح، يسوع الناصري، الذي كانَ يُظنُّ أنّه ابنُ يوسف، إنّه ملكُ إسرائيل شعبِ الله القديم، إنّه ابنُ الإنسان، المُعلّم الذي عمِلَ بما علّمه.

في الإصحاح الثاني: سوف نجدُه كمُعطي الفرح، الذي يُحبُّ بيتَ الآب، والذي يُظهرُ هيكلَ الله، البرهانُ الحيُّ عن مصداقيّة أقواله عن نفسه، الشخصُ المُلتزم الذي ألزم نفسه بالذين إلترّموا تجاهه، وهو الذي يقدرُ أن يُحوّلَ الماءَ خمرًا.

في الإصحاح الثالث: نجدُه المُعلّم الذي جاء من الله، المُعلّم صانع المعجزات، الإنسان السماويّ، المرفوع، إبن الله الوحيد، حلّ الله الوحيد، والمُخلص الوحيد، والمِيعارُ المُطلق للخلاص، وهو العريسُ المنتظرُ للكنيسة.

في الإصحاح الرَّابِع: إنّه يهوديٌّ لا غشَّ فيه، وهو الرَّجُلُ المُتعب، إنّه هبةُ الله، مُعطي المياه الحية رُغمَ أنّه لا دلوَ له، إنّه المُرشِد الذي يمنحُ النَّصحَ في لقاءاته، ويُرشِدُ الناسَ، إنّه النَّبيُّ، المسيح، الرَّجُل الذي أخبرَ المرأةَ السامريّةَ كُلَّ ما فعلته، إنّه ربُّ الحصاد، مُخلصُ العالم، مُعطي الحياة، ومُعطي الإيمان.

في الإصحاح الخامس: نجدُ يسوع الطَّيِّبَ العَظيم الذي لا يستطيعُ أن يتجاوزَ جمعاً مريضاً ويتجاهله. إنّه إنسانٌ كانَ مُستعداً عن سابقِ تصوُّرٍ وتصميمٍ أن يكسرَ ناموسَ موسى، لكي يدخلَ في نقاشٍ حولَ الناموسيّة. إنّه ذلك الشخص الذي قالَ أنّه مُعادِلُ الله. إنّه ديانُ كُلِّ الأرض. إنّه القيامة. إنّه مفتاحُ كُلِّ الأسفارِ المقدَّسة.

في الإصحاح السادس: نجدُ أنّه خبِزَ الحياة، وهو الذي يعملُ عملاً ذا مغزى.

في الإصحاح السابع: إِنَّهُ الْمُعَلِّمُ الَّذِي أَتَى مِنْ اللَّهِ حَامِلًا تَعْلِيمَ اللَّهِ. إِنَّهُ الْمُتَكَلِّمُ الْحَيَوِيُّ الدِّينَامِيكِيُّ، الَّذِي أُعْجِبَ بِهِ جُنُودُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُمْ نَسُوا لِمَاذَا أَتُوا لِإِلْقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ. وَعِنْدَمَا رَجَعُوا بِدُونِهِ كَسَجِينٍ لَهُمْ، كَانَ تَفْسِيرُهُمُ الْوَحِيدُ: "لَمْ يَتَكَلَّمْ إِنْسَانٌ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ!" (يُوحَنَّا ٧: ٤٤ - ٤٦). إِنَّهُ مُصَدِّرُ أَعْظَمِ إِحْتِبَارَيْنِ فِي الْحَيَاةِ: وِلَادَتُنَا الْجَدِيدَةَ، وَصَيْرُورَتُنَا وَسَيْلَةً مِنْ خِلَالِهَا تَتَدَفَّقُ أَهَارُ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ لِلآخِرِينَ. (يُوحَنَّا ٧: ٣٧ - ٣٩)

في الإصحاح الثامن: نَجْدُهُ صَدِيقَ الْخَطَاةِ، نُورَ الْعَالَمِ، الْإِنْسَانَ الَّذِي لَدَيْهِ إِنْجَاهٌ فِي الْحَيَاةِ، وَالَّذِي دَائِمًا يَعْمَلُ مَا يُرْضِي الْآبَ، وَالْحَقَّ الَّذِي حَرَّرَ النَّاسَ فِعْلًا. إِنَّهُ الْأَبَدِيُّ الَّذِي قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ هُوَ كَائِنٌ.

في الإصحاح التاسع: نَجْدُ أَنَّهُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ أَعْمَالَ أَبِيهِ، وَهُوَ الرَّبُّ الَّذِي يَقْبَلُ الْعِبَادَةَ مِنْ إِنْسَانٍ كَانَ قَدْ شَفَاهُ لِلتَّوْبَةِ. إِنَّهُ النَّوْرُ الَّذِي يَمْنَحُ الْبَصَرَ لِلْعُمَيَانِ رُوحِيًّا، وَالَّذِي يَكْشِفُ الْعَمَى الرَّوْحِيَّ فِي أَوْلَادِكَ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِأَنَّهُ عُمَيَانٌ.

في الإصحاح العاشر: إِنَّهُ الرَّاعِي الصَّالِحُ، بَابُ الْخِرَافِ، وَالرَّاعِي الَّذِي يَسُودُ. فِي الْإِصْحَاحِ الْحَادِي عَشَرَ: نَجْدُ أَنَّهُ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. إِنَّهُ الْمَسِيحُ الْعَطُوفُ. إِنَّهُ حَلَّالٌ أَكْثَرَ مُشْكَلَتَيْنِ مُسْتَعَصِبَتَيْنِ فِي الْحَيَاةِ، الْمَرَضِ وَالْمَوْتِ.

في الإصحاح الثاني عشر: نَجْدُ أَنَّهُ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ الَّتِي تَقَعُ فِي الْأَرْضِ وَتَمُوتُ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُمَجِّدَ اللَّهَ بِإِعْطَاءِ حَصَادٍ وَافِرٍ مِنَ الثَّمَارِ. إِنَّهُ الْمَسِيحُ الْمُمَجِّدُ، الْمَعْبُودُ وَالْمَشْهُورُ.

في الإصحاح الثالث عشر: نَجْدُ أَنَّهُ يَسُوعُ الْخَادِمُ الْمُتَوَاضِعُ، الَّذِي أَخَذَ دَوْرَ الْعَبْدِ، وَغَسَلَ أَرْجُلَ رُسُلِهِ. إِنَّهُ الْمَسِيحُ الْمَغَادِرُ الَّذِي يُصَدِّرُ وَصِيَّةً جَدِيدَةً تَخْلُقُ مُجْتَمَعًا جَدِيدًا.

في الإصحاح الرابع عشر: هُوَ الْمَسِيحُ الْآتِي، وَهُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. بِإِمْكَانِكَ الْقَوْلُ أَيْضًا أَنَّهُ الْمَسِيحُ الْعَقَائِدِيُّ، لِأَنَّهُ لَيْسَ فَقَطِ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ، وَلَكِنَّهُ يُخْبِرُنَا أَنْ لَا أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِهِ. وَهُوَ أَيْضًا الْمَسِيحُ الَّذِي يُعِدُّ مَكَانًا سِيَاخُذُ إِلَيْهِ أَتْبَاعَهُ لِيَكُونُوا مَعَهُ إِلَى الْأَبَدِ. إِنَّهُ الْمَسِيحُ الْمُعَزِّي الَّذِي يَعِدُّ بِأَنْ يُرْسِلَ شَخْصًا وَسَلَامًا لِأَتْبَاعِهِ لِكِي لَا تَضْطَرِّبَ قُلُوبُهُمْ.

في الإصحاح الخامس عشر: نجدُ أنَّه الكرمة التي تبَحَثُ عن أغصان. إنَّه المسيح المعطي الحياة، الدِّيَّانُ والمَكْرُوهُ والذي يختار.

في الإصحاح السادس عشر: نجدُ المسيحَ الذي يَعِدُ بإرسالِ الرُّوحِ القُدُسِ لِيُعْزِي وَيُعَلِّمَ تلاميذه. إنَّه المسيحُ المَتْرُوكُ، ولكنَّه أيضًا المسيحُ المُنْتَصِرُ.

في الإصحاح السابع عشر: إنَّه رَئِيسُ الكَهَنَةِ الأعْظَمِ، المسيحُ المُتَشَفِّعُ لأجلِ الرُّسُلِ ولأجلِ أولئك الذي سيُؤْمِنُونَ بِهِ من خلالِ رُسُلِهِ.

في الإصحاح الثامن عشر: نجدُ المسيحَ الشَّاهِدَ الأَمِينِ الذي وُلِدَ في هذا العالمِ لِيَشْهَدَ لِلْحَقِّ. إنَّ المسيحَ الذي تَمَّتْ خِيَانَتُهُ، المسيحَ البَرِيءِ الذي كانَ قَلِيلَ الشَّعْبِيَّةِ.

في الإصحاح التاسع عشر: نجدُ المسيحَ المَصْلُوبَ والمسيحَ المَدْفُونِ.

في الإصحاح العشرين: نجدُ بالطبع المسيحَ القائمِ من الموت.

في الإصحاح الحادي والعشرين، نجدُ المسيحَ مُعْطِي المَأْمُورِيَّةِ عَظْمَى.

فعلى أساسِ قَصدِ يُوْحَنَّا من كِتابَةِ إنْجِيلِهِ، كما أعلَنَ عَنْهُ في يُوْحَنَّا ٢٠: ٣٠، ٣١،

علينا أن نتوقَّع أن نجدَ عبرَ إنْجِيلِ يُوْحَنَّا الكثيرَ من الأجوبةِ على السؤالِ: "من هو يسوع؟" وإذ نبدأُ بِدراسةِ إنْجِيلِ يُوْحَنَّا معاً، أطلبُ منكم أن تقوموا بالمهمَّةِ التَّالِيَةِ: إقرأوا إنْجِيلَ يُوْحَنَّا وفتشوا على صُورَةِ كِلامِيَّةِ لِيَسُوعِ المسيحِ في كُلِّ إصحاحٍ من هذا الإنجيلِ.

ثمَّ تأملوا بِرُوحِ الصَّلَاةِ من خلالِ قِراءةِ إنْجِيلِ يُوْحَنَّا، مُتَفَكِّرِينَ بالصُّورِ التي وجدتموها عن يسوع المسيحِ في هذا الإنجيلِ. وحاوِلُوا أن تتذكَّروا ولو صُورَةً واحدةً عن المسيحِ من كُلِّ إصحاحٍ من إصحاحاتِ إنْجِيلِ يُوْحَنَّا. وبينما تكتشفون هذه الأجوبةَ على السؤالِ "من هو يسوع؟"، في إصحاحٍ بعدَ الآخرِ من هذا السفرِ الرائعِ، تكونونَ قد شكَّلتُم متحفاً للفنِّ الرُّوحِيِّ، الذي يُظهرُ لكم يسوعَ بِعِدَّةِ طُرُقٍ رائعةٍ وجميلةٍ.

عندما سئلتُ الأُمَّ تيريزا، "ماذا يعني لكِ يسوع؟" كانَ جوابُ الأُمِّ تيريزا يُشْبِهُ إلى حدِّ كبيرٍ معرضَ الفنِّ الرُّوحِيِّ في إنْجِيلِ يُوْحَنَّا. كانَ من السَّهْلِ جداً بالنسبةِ لها أن تُعْطِيَ لائحةً طويلاً، نابعةً من أعماقِ قلبِها، وتحتوي على العشراتِ من الصُّورِ الكِلامِيَّةِ الجميلةِ، ليسَ فقط من إنْجِيلِ يُوْحَنَّا، عمَّا كانَ يعني لها يسوع المسيحِ. وهكذا أعطت أوصافَ المسيحِ الشَّخْصِيِّ كما عرفته، مُستشهدةً بأعدادٍ كِتابِيَّةٍ إبتداءً من سفرِ التَّكْوِينِ إلى الرُّؤْيَا.

أتساءلُ عمَّا هي نظرُكَ عن يسوع؟ ومن هو يسوعُ بالنسبةِ لك؟ وماذا يعني لك؟ من خلالِ التحركِ عبرِ إنجيلِ يوحنا، إصحاحاً بعد الآخر، والإجابة على السؤال، "من هو يسوع؟"، سوفَ تكتشفُ أنَّه من الممكنِ أن تتعرَّفَ على الشخصِ الذي خلَّصَكَ، وأن تكتشفَ كلَّ ما يريدُ أن يكونه بالنسبةِ لك.

السؤالُ الثاني الذي نجدُ جواباً عليه عبرِ إنجيلِ يوحنا هو، "ما هو الإيمان؟" لاحظوا في إنجيلِ يوحنا، كيفَ يُجابُ على هذا السؤالِ بطُرقٍ جميلة. فيوحنا لا يُخبرنا فقط أنَّه من المهمُّ أن نُؤمنَ لكي نحصلَ على الحياةِ الأبدية، بل ويُخبرنا أيضاً عمَّا يعنيه الإيمان. ففي الإصحاحِ الأوَّلِ من هذا الإنجيل، المرَّةُ الأولى التي إلتقى فيها سيِّدنا من الرُّسلِ بيسوع، تجدونَ أجوبةً عمليَّةً على السؤال، "ما هو الإيمان؟" إثنانِ من هؤلاء التلاميذ كانا من تلاميذِ يوحنا المعمدان، الذي قالَ لهما أن يتبعنا يسوع.

وكانا يتبعان يسوعَ حرفياً على الطريق، فإلتفتَ إليهما وسألَهُما، "ماذا تطلبان؟" فأجابا بما معناه، "يا معلِّم، أينَ تسكنُ؟" فأجابَهُم، "تعاليا وأنظرا." ونقرأ، "فأتيا ونظرا حيثُ كان يسكنُ يسوع، ومكثا معه في ذلكَ اليوم." وتتابعُ القصةُ لتقولَ أنَّه منذُ تلكَ الساعةِ عاشا من أجلِهِ وماتا من أجلِهِ، بسببِ ما رآياه عندما إتخذنا الإلتزامَ بالنظرِ إلى حيثُ كان يمكثُ يسوع.

بحسبِ هذا الإيضاحِ عمَّا يعنيه الإيمان، أن نُؤمنَ يعني أن نأتي وننظرَ؛ أن نُؤمنَ يعني أن نمكثَ معه؛ أن نُؤمنَ يعني أن نطرحَ عليه السؤال، "في مُعتركِ الحياة، وحيثُ تأخذُ الحياةَ مجراها، هل يهْمُ ما نُعلِّمُ به؟" عندما تُطبِّقونَ شخصياً قيمَ وتعاليمَ يسوعَ جميعها على حياتِكُم، ستكتشفونَ بالحقيقةِ ما هو الإيمان، بحسبِ الرسولِ يوحنا. فعبّرَ ما تبقى من هذا الإنجيل، سيكونُ هناكَ العشراتُ من الأجوبةِ الجميلة على السؤال: "ما هو الإيمان؟"

السؤالُ الثالثُ الذي قلتُ أنَّه عليكم أن تجدوا جواباً عليه في إنجيلِ يوحنا، مبنيٌّ على قصدِ يوحنا المُعلنِ من كتابتهِ الإنجيل، ونجدُهُ مُجاباً عليه بشكلٍ جميلٍ عبرَ هذا الإنجيل. السؤالُ هو: "ما هي الحياة؟" ما هي هذه الحياةُ الأبدية التي يتكلَّمُ عنها يوحنا؟ فما هي تلكَ الميزة من الحياة التي أرادها لنا الله، التي لا نحصلُ عليها إلا إذا آمنَّا بيسوع المسيح، والتي يُسمِّيها يوحنا "الحياة الأبدية؟" سوفَ نجدُ أجوبةً يوحنا الجميلة على هذا

السؤال الثالث عبر إنجيل يوحنا. مثلاً، الحياة الأبدية هي مثل شرابٍ يُمكنه أن يُروي ظمأكَ مرّةً وإلى الأبد، طوال حياتك، وهي أيضاً مثل الحُبز الذي يُمكن أن يُشبع جوعنا طوال حياتنا. (يوحنا ٤ : ١ - ٤٢ ؛ ٦ : ٤٨ - ٥١)

فأنا أدعوكم لكي تدرّسوا معي إنجيل يوحنا، عدداً بعد الآخر، ابتداءً من الإصحاح الأول وحتى نهاية الإصحاح الحادي والعشرين. وبينما ندرّس هذا الإنجيل الرابع معاً، دعوا هذا يكون أحد المفاتيح التي تفتك لغز هذه الرسالة الرائعة لهذا السفر: فتشوا عن الجواب على هذه الأسئلة الثلاث عبر هذا الإنجيل بأكمله: من هو يسوع؟ ما هو الإيمان؟ وما هي الحياة؟

الفصل الثاني

الكلمة الحية

"يوحنا ١ : ١ - ١٨"

"في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه. كان إنسانٌ مرسلٌ من الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة للنور لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي الذي يُنير كل إنسانٍ آتياً إلى العالم. كان في العالم وكوّن العالم به ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله. والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيده من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً. يوحنا شهد له ونادى قائلاً هذا هو الذي قلتُ عنه إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قبلي. ومن ملئني نحن جميعاً أخذنا ونعمةً فوق نعمة. لأنّ الناموس بموسى قد أُعطي. أمّا النعمة والحق فبيسوع المسيح صاروا. الله لم يره أحد قط. الإبن الوحيد الذي في حضن الآب هو خير."

في مُقَدِّمَةِ دِرَاسَتِنَا لِهَذَا الْإِنْجِيلِ، حَاولْتُ أَنْ أَضَعُ أَمَامَكُمْ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا فِي إِطَارِهِ الصَّحِيحِ، وَذَلِكَ بِمُشَارَكَتِكُمْ بِبَعْضِ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي أَعْتَقِدُ أَنَّهَا سَتَفْتَحُ أَمَامَكُمْ رِسَالَةَ الْإِنْجِيلِ الرَّابِعِ الْفَرِيدَةِ. فِي هَذَا الْفَصْلِ، أَوَدُّ أَنْ أَبْدَأَ دِرَاسَةَ هَذَا الْإِنْجِيلِ، عَدَدًا بَعْدَ الْآخِرِ.

قَالَ أَحَدُ وُعَاظِ الرَّيْفِ الْمَشْهُورِينَ، "عِنْدَمَا تُلْقِي عِظَةً، عَلَيْكَ أَنْ تَعْمَلَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: أَوَّلًا، عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ لِلنَّاسِ مَا سَتُخْبِرُهُمْ بِهِ. ثَمَّ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَهُمْ. ثَمَّ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِمَا سَبَقَ وَأَخْبَرْتَهُمْ بِهِ!"

بِمَعْنَى مَا، يَصِفُ هَذَا التَّعْلِيمُ طَرِيقَةَ تَنْظِيمِ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. فَالْأَعْدَادُ الثَّمَانِيَّةُ عَشْرُ الْأُولَى فِي هَذَا الْإِنْجِيلِ تُسَمَّى مِنْ قِبَلِ الْمَفْسِّرِينَ بِالْمُقَدِّمَةِ، حَيْثُ يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ يُوحَنَّا بِمَا سَيَقُولُهُ لَنَا. ثَمَّ إِبْتِدَاءً مِنَ الْعَدَدِ ١٩ مِنَ الْإِصْحَاحِ الْأَوَّلِ، وَصُورًا إِلَى الْعَدَدِ ٢٩ مِنَ الْإِصْحَاحِ الْعِشْرِينَ، يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا بِأَخْبَارِهِ. ثَمَّ، فِي الْأَعْدَادِ ٣٠ وَ ٣١ مِنَ الْإِصْحَاحِ الْعِشْرِينَ، يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا بِمَا أَخْبَرْنَا بِهِ. تُخْبِرُنَا هَذِهِ الْأَعْدَادُ الْمِفْتَاحِيَّةُ مِنْ هَذَا الْإِنْجِيلِ لِمَاذَا أَخْبَرْنَا يُوحَنَّا بِمَا أَخْبَرْنَا بِهِ.

بِطَرِيقَةٍ مَا، كُلُّ مَا سَيُخْبِرُنَا بِهِ إِنْجِيلُ يُوحَنَّا فِي الْإِصْحَاحَاتِ الْأَحَدِ وَالْعِشْرِينَ، يُقَدِّمُ لَنَا بِشَكْلِ مُوجِزٍ فِي هَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يُعْطِينَا إِيَّاهَا يُوحَنَّا فِي الْأَعْدَادِ الثَّمَانِيَّةِ عَشْرِ الْأُولَى مِنْ إِنْجِيلِهِ. فِي هَذِهِ الْأَعْدَادِ الثَّمَانِيَّةِ عَشْرِ الْأُولَى، يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا بِمَا سَيَقُولُهُ لَنَا. يُخْبِرُنَا أَنَّ الْكَلِمَةَ كَانَتْ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْبَدءِ، وَأَنَّ الْكَلِمَةَ كَانَتْ اللَّهُ. عِنْدَمَا يُشِيرُ يُوحَنَّا إِلَى "الْكَلِمَةِ"، كَانَ يَقْصُدُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي كَانَ مِنْذُ الْبَدءِ مَعَ اللَّهِ، وَكَانَ اللَّهُ.

كَمَا أَشْرَتْ مُسَبِّقًا فِي الْمُقَدِّمَةِ، هَذَا الْإِنْجِيلُ هُوَ بِحُمْلَتِهِ عَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِذَلِكَ عِنْدَمَا نَقْرَأُ إِنْجِيلَ يُوحَنَّا، عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَرِبَ مِنْهُ بِاحْتِثٍ عَنِ الْمَسِيحِ. فِي الْعَدَدِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْإِنْجِيلِ، عِنْدَمَا يُشِيرُ يُوحَنَّا إِلَى يَسُوعَ الْمَسِيحِ كَالْكَلِمَةِ، يُقَدِّمُ بِذَلِكَ أَوَّلَ صُورَةٍ لِيَسُوعَ.

فَمَاذَا يَقْصُدُ الرَّسُولُ يُوحَنَّا عِنْدَمَا يُشِيرُ إِلَى يَسُوعَ الْمَسِيحِ كَالْكَلِمَةِ؟ الْكَلِمَةُ هِيَ وَسِيلَةٌ نَقْلٌ لِلتَّعْبِيرِ. فَإِذَا كَانَتْ لَدَيَّ فِكْرَةٌ فِي عَقْلِي وَأَرَدْتُ أَنْ أُشَارِكَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ مَعَ عَقْلِكَ، فَإِنَّ أَدَاةَ النُّقْلِ الَّتِي تَنْقُلُ الْفِكْرَةَ مِنْ عَقْلِي إِلَى عَقْلِكَ هِيَ الْكَلِمَةُ.

الْفِكْرَةُ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا يُوحَنَّا هُنَا هِيَ أَنَّهُ فِي الْبِدَايَةِ، تَمَامًا كَمَا يُخْبِرُنَا سَفَرِ التَّكْوِينِ، كَانَ اللَّهُ مِنْذُ الْبَدءِ. وَلَكِنْ، فِي هَذَا الْوَصْفِ الْمُوَحَّى بِهِ، يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا أَنَّهُ فِي الْبَدءِ

لم يكن الله وحيداً. ففي سفر التكوين، الضمير المستخدم إشارة إلى الله هو بصيغة الجمع، وبحسب يوحنا، في البدء كان الكلمة مع الله. عندما صلى يسوع لأجل رُسُلِهِ، طلب من الله أن يرُدَّ له المجد الذي كان له قبل كون العالم. (يوحنا ١٧ : ٥). في البدء، بحسب يوحنا، كان لدى الله فكرة على قلبه أراد أن يُشارِكها مع البشر. يسوع المسيح كان وسيلة النقل، أو الكلمة التي حملت هذه الفكرة من عقل الله إلى عقل الإنسان.

العدد الثامن عشر من الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا، الذي قرأته على مسامعكم منذ دقائق، يهتم مقدمة إنجيل يوحنا، ويُقدم تصريحاً عظيماً عن يسوع: "الله لم يره أحد قط؛ الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر." (يوحنا ١ : ١٨)

يُخبرنا يوحنا في العددين الرابع عشر والثامن عشر من هذا الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا أن الكلمة صار جسداً، وعاش بيننا، لكي نستطيع أن نرى أفكار الله، التي أعلنها لنا يسوع بالكامل. لاحقاً في هذا الإنجيل، سيستشهد يوحنا بقول يسوع، "أنا هو الحق" وكذلك، "لهذا وُلدت، لأشهد للحق." (١٤ : ٦ ؛ ١٨ : ٣٧) لقد كان يسوع الحق الذي أراد الله أن يُشارِكهُ معك ومعِي.

يُخبرنا الكتاب المقدس في أكثر من مكان أن لا أحد قد رأى الله. بل رأى الناس إعلانات من الله. واختبر الناس ظُهُوراتِ الله، كان بعضها مَهُوباً ومُدْهِشاً، ولكن هذا التعبير عن الله، أو إعلان الله، أو ظُهُور الله الذي رأوه، لم يكن كل ما يمكن أن يروه عن الله. فلا أحد يستطيع أن يرى الله بكماله. يُخبرنا العهد القديم أن لا أحد يستطيع أن يرى الله ويعيش. (خروج ٣٣ : ٢٠) وهكذا نجد أن لا أحد رأى الله بهذا المعنى الكامل. فبحسب يوحنا، أقرب مسافة بإمكاننا أن نرى منها إعلاناً كاملاً لله، هي ما نراه عندما ننظر إلى يسوع. هذا سبب آخر لكون "متحف اللوحات الروحية" هو الإنجيل المُفضَّل عندي بين الأناجيل الأربعة.

"...الابن الوحيد الذي في حضن الآب..." هذا يعني أنه في علاقة حميمة مع الآب. فأن يكون الإنسان "في حضن" شخص ما، يعني أن يكون جالساً عن يمينه على المائدة، أو بكلمات أخرى، في أكثر مكان حميم في العلاقة. كان الابن مع الآب منذ

البدء، وكان في علاقة حميمة مع الله الآب. هذا الإبن الذي كان في هذه العلاقة الحميمة مع الله الآب، أعلن الله وخبر به بشكل كامل.

إن كلمة "خبر" باللغة اليونانية الأصلية هي كلمة "فسر". عندما تدرُس اللغة اليونانية في كلية اللاهوت، تدرُس في السنة الأولى اللغة اليونانية في قواعدها اللغوية وما شابه ذلك. إذا قمت بدراسة أربع سنوات من اللغة اليونانية، بعد السنة الأولى من دراسة اللغة اليونانية، ستكون السنوات الثلاث التالية ما يُسمونه *Exegesis* أو تفسير. (Ex تعني: استخراج من، و Gesis تعني: الحقيقة أو المعرفة.) فلكي تُفسر عدداً من أعداد الكتاب المقدس، يعني أن تستخرج من هذا العدد كل الحقيقة الكامنة فيه. يُخبرنا يوحنا أن كل الحقيقة التي يتمكن العقل البشري أن يفهمها عن الله كانت متوقعة من قبل يسوع المسيح. كما أشرت عندما كُنَّا ندرُس حياة أشخاص مثل إبراهيم، موسى، وداود في العهد القديم، عندما كان الله يريد أن يُشارك مفهومًا عظيمًا مثل الإيمان، كان يُعَلِّف هذا المفهوم بشخص. يُخبرنا يوحنا أن يسوع كان الشخص الذي جسّد الله فيه كل الحق الذي أراد إعلانه لهذا العالم. لقد كان يسوع ذلك الشخص بكل ما كانه، وبكل ما عمله. ولقد كمل يسوع هذا الدور أيضاً بكل ما قاله. في الأناجيل، عندما نقرأ: "ففتح فاه وعلمهم قائلاً،" علينا أن ندرك أن يسوع المسيح كان أعظم إعلان أعطاه الله لهذا العالم.

هذا ما يقصده يوحنا عندما يُخبرنا أن يسوع المسيح كان وهو كلمة الله. يسوع المسيح كان وهو كلمة الله الحي، الذي كان مع الله في البدء، وكان الله. هو كان الكلمة، والكلمة صار جسداً وجاء إلى هذا العالم، وفسر لنا الله. إن أعظم إعلان عن الله ليس الكتاب المقدس. بل أعظم إعلان سبق وأعطى عن الله في هذا العالم، هو يسوع المسيح.

العلم والتقنية المتطورة تطرح أمامنا اليوم قضايا أخلاقية مُحرّجة، مثل الهندسة الجينية، الإستنساخ البشري، الإجهاض، والموت الرحيم. بعض النظر عما هي هذه القضايا، علينا أن نبدأ دائماً مع يسوع وأن نسأل نفوسنا، "هل عالج يسوع هذه القضية، ولو على الأقل بشكل مبدئي؟" فما نُؤمن به ينبغي أن يبدأ دائماً مع يسوع. فالحقيقة التي كانتها يسوع، والحقيقة التي علمها يسوع، ينبغي أن تكون أساساً وقلباً ما نُؤمن به، إن كُنَّا سنعتبر مستحقين أن نعتبر أنفسنا تلاميذ ليسوع المسيح.

يسوعُ كانَ اللهُ

بمعنى ما، الموضوعُ الرئيسيُّ للإنجيلِ الرَّابِعِ مُعبَّرٌ عنه في الكلماتِ الثلاثِ الأخيرةِ من العددِ الأوَّلِ من الإصحاحِ الأوَّلِ منه، حيثُ نقرأ، "وكانَ الكَلِمَةُ اللهُ." فالكَلِمَةُ الذي كُتِبَ عنه يُوحنا، ليسَ أَنَّهُ فقط كانَ في البدءِ، وكانَ معَ اللهُ. بل كانَ الكَلِمَةُ اللهُ. وحُجَّةُ إنجيلِ يُوحنا الرَّئيسيَّةِ هي أَنَّهُ عندما صارَ الكَلِمَةُ الذي كانَ اللهُ، عندما صارَ جسداً وفسَّرَ لنا اللهُ، كانَ هذا الكلمةُ يسوعُ المسيح! وعَبَّرَ كُلُّ إنجيليهِ، كانَ هدَفُ يُوحنا أن يُخبرنا أن يسوعُ لم يكنِ إلهياً فحَسَب، بل كانَ اللهُ. وسيكونُ هذا هوَ التَّشديدُ الخاصُّ الذي سترأه في تصريحاتِ يسوع في حوارِهِ العدائيِّ معَ القادَةِ الدِّينيِّين، والتي سجَّلها يُوحنا في الإصحاحاتِ ٥ إلى ٨.

هذه الحقيقة العميقة التي يُشارِكها معنا يُوحنا، يُمكنُ تلخيصُها في كلمة "تجسُّد"، أو Incarnation. يُخبرنا يُوحنا أن اللهَ القديرَ صارَ جسداً. الكلمة اليونانية *Carne* "كارني" تعني "جسد". فالتجسُّدُ يعني الصَّيرورةَ جسداً. وهكذا يُخبرنا يُوحنا أن اللهَ القديرَ صارَ جسداً. فإِنجيلُ الميلاذِ هذا هوَ الأخبارُ السارَّةُ أن اللهَ صارَ جسداً لِيُخَلِّصَنَا. أنا مُصمِّمٌ جدًّا أن أوضِّحَ معنىَ مَفهُومِ التَّجسُّدِ، ولهذا أريدُك أن تستخدمِ مُخَيَّلَتَكَ لِبضعِ دقائق. تَصوِّرْ أَنَّكَ تَجِدُ بِاستمرارٍ نملاً في مطبخِكَ وفي كُلِّ مِترِكَ. ولنفتَرِضْ أَنَّكَ ترغِبُ بِإيجادِ حَلٍّ لِمُشكلةِ النَّمْلِ هذه. وإذا بِكَ تَكْتَشِفُ أَنَّ النَّمْلَ يأتي من وكرٍ في زاويةِ الحديقة. ويوجدُ حطٌّ من النَّمْلِ يتحرَّكُ بِاستمرارٍ من وكرِ النَّمْلِ هذا إلى داخلِ مِترِكَ. النَّمْلُ يحصلُ على الغداءِ من مِترِكَ، ويرجعُ إلى الوكرِ حيثُ يُخزِّنُ طعامَكَ ويأكلُهُ. لو كانَ بإمكانِكَ أن تتفاهمَ معَ النَّمْلِ في ذلكِ الوكرِ، لَكُنْتَ قد توصلتَ إلى حَلِّ معَهُم. لرُبَّما قد ترغِبُ بأن تتركَ للنَّمْلِ كَمِّيَّاتٍ من الطَّعامِ قُربَ الوكرِ، إذا وافقَ النَّمْلُ على البقاءِ بعيداً عن مِترِكَ. وبمُلاحظةِكَ للنَّمْلِ، سوفَ تعرفُ أَنَّهُم يتفاهمونَ معَ بعضهم، ولكنَّ مُشكلةَكَ هي أَنَّكَ لا تقدرُ أن تتفاهمَ معَ هذا النَّمْلِ.

تَصوِّرْ أَنَّكَ تُريدُ أن تتفاهمَ فعلاً معَ هذا النَّمْلِ، وَأَنَّكَ أَحَبَبْتَ النَّمْلَ لِدَرَجَةٍ أَنَّكَ تخلَّيتَ عن وُجودِكَ ككائنٍ بشريٍّ، وأصبحتَ نملةً. ثمَّ نزلتَ إلى وكرِ النَّمْلِ ذاك، وهناكُ قلتَ للنَّمْلِ، "قد أبدؤ لَكُمْ وكأني نملة، ولكنِّي بالحقيقة ذلكَ الإنسان الذي يعيشُ فوق،

في المتزل الذي تدخُلونه من الحديقة. وأنا مُستَعِدُّ أن أتخلى عن كيسٍ يحوي كيلوغرامين من السكر الذي سأتركه في زاوية الحديقة، إذا وافقتم على الإبتعاد عن منزلي." رغم أنه بطريقة ما يُعتبر هذا الإيضاح مُثيراً للضحك، ولكنني أعتقد أنه يُوضح بشكلٍ مُصغَّر المفهوم الكتابي الجميل عن "التجسد." ففكر بالتحدّي الذي واجهه الله عندما قرّر أن يُعلن مُعجزةً ورسالةً الخلاص للكائنات البشريّة. فالأخبار السارّة التي تمّ إعلانها في هذا الإنجيل الرابع، هي أن الله أحبّ العالمَ لدرجة أنه صار جسداً إنسانياً، لكي يقدر أن يُوصل خلاصه وحياته الأبدية لك ولي.

بالإختصار

بينما يُخبرنا يوحنا في مُقدمته عمّا سيقوله لنا، يُخبرنا أن يسوع كان الكلمة، وكونه الكلمة، كان عند الله الأب، وكان الكلمة الله. وصار جسداً وحلّ بيننا، حتى لا نعود نقرأ عن الله فقط على صفحةٍ مُقدّسة، بل أردنا أن نرى كيف يبدو الله، وعاش بيننا في حياة إنسانيّة. الكلمة اليونانيّة المترجمة "حلّ" هي كلمة تعني "نصب خيمته بيننا." فعندما صار الله إنساناً، أعلن ما هو الله، وأظهر لنا كلّ الحق الذي بإمكاننا أن نفهمه عن الله (يوحنا ١: ١، ١٤، ١٨).

ويُخبرنا يوحنا أيضاً في هذه الأعداد الإفتتاحيّة التي نُسمّيها المُقدمة، أنه "كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم. إلى خاصّته (أي الشعب اليهودي) جاء وخاصّته لم تقبله. وأمّا كلّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. الذين وُلدوا ليس من دمٍ ولا من مشيئة جسدٍ ولا من مشيئة رجلٍ بل من الله." (يوحنا ١: ١٢، ١٣)

وبينما يُخبرنا هذا الرّسولُ المُحبوبُ عمّا سيقوله لنا، يُعبّر عن ذلك كالتالي: عندما أصبح الكلمة جسداً وحلّ بيننا، جاء إلى الناس في هذا العالم. جاء إلى خاصّته، الشعب اليهودي. مُعظم اليهود لم يقبلوه، خاصّةً رجال الدين بينهم. ولكن الذي قبلوه، أصبحوا مولودين من جديد.

الكلمة "يقبل" تعني أنّهم لم يؤمنوا به. فعندما كان يسوع موجوداً هنا في الجسد، لم يطلب الناس أن يحنوا رؤوسهم ليطلبوا منه أن يدخل قلوبهم، لأنّه كان معهم في

الجسد. لم يكن العرض أن يقبلوه بهذا المعنى. لأن هذا كان سيأتي لاحقاً. ولكن كلمة "يقبل" هي رديف لكلمة "يؤمن". كان في هذا العالم وكوّن العالم به ولم يعرفه العالم. "صُلبَ على صليب من الخشب، وخلق التلة التي نُصبَ صليبه عليها،" كما قال المرتّم. لم يكن اليهود الشعب الوحيد الذي رفض المسيح. يقول أحد المرتّمين السود في إحدى ترنيمات الميلاد التي نظمها، "لم نعلم أن ذاك كان أنت، يا رب! لم نعلم أنك أنت."

ولكن الأخبار السارة تقول: قبله البعض، مثل التلاميذ الإثني عشر. كثيرون لم يدركوا أن التلاميذ الإثني عشر كانوا جميعهم يهوداً. بعض اليهود آمنوا، ولأولئك الذين آمنوا "أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه."

بكلمات أخرى، جاء من أجل الناس. ومُعظم الناس لم يؤمنوا به عندما أخبرهم من كان هو بالحقيقة. ولكن البعض آمنوا به، وعندما فعلوا، أعطاهم سلطاناً أن يصيروا كما أرادهم الله أن يكونوا - أي أبناء الله. أولئك الذين آمنوا، أخذوا منه السلطان ليصبحوا أبناء الله، فاجتازوا في إختبار. كان هذا الإختبار وكأته ولادة ثانية.

فجميعهم كانوا قد وُلِدُوا جسدياً. أي أنهم وُلِدُوا من دم، من مشيئة جسد، أو من مشيئة رجل. جميعهم إختبروا ولادة جسدية. ولكن عندما قبلوا من يسوع السلطان ليصبحوا أبناء الله، إختبروا ولادة لم تكن من الجسد. لقد إختبروا ولادة روحية. يُخبرنا يوحنا أنهم "وُلِدُوا من الله"، أو "وُلِدُوا من فوق." في الإصحاح الثالث من هذا الإنجيل، سوف يُسمي يسوع هذا الإختبار "بالولادة الثانية."

كما يقول يوحنا، "ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله." لقد وُلِدُوا من الله. في يوحنا الإصحاح الثالث، يُخبرنا يسوع أنهم وُلِدُوا ثانيةً.

بينما تقرأون هذا الإنجيل، لاحظوا أنه بعد أن يُخبرنا يوحنا بما سيقوله لنا في هذه المقدمة، سيبدأ بوصف مقابلات أجراها يسوع مع أناس وُلِدُوا من جديد، لأنهم تجاؤبوا معهم بالطريقة الصحيحة. أولهم كانوا أولئك الذين أصبحوا فيما بعد رُسُلَهُ. ثم التقى مع آخرين، مثل مُعَلِّمِ التَّامُوسِ نيقوديموس الذي أخبره يسوع أنه عليه أن يُولَدَ من جديد.

في الإصحاح ٤ يتكلم يسوع مع امرأة عند بئر في السامرة. ولقد وصف يسوع لها إختبار الولادة الجديدة بلغةٍ مُخْتَلِفَةٍ تماماً. لقد تكلم معها عن الشرب - وعن ماءٍ إذا

شَرِبَتْ مِنْهُ سِيرُويَ ظَمَاءُها إلى باقِي حَيَاتِها. وَسوفَ يَتَقَابَلُ مَعَ رَجُلٍ أَمَامَ بَرَكةٍ فِي الإِصحاحِ الخَامِسِ، وَسَيَتَكَلَّمُ مَعَ شَخْصٍ أَعْمَى فِي الإِصحاحِ التَّاسِعِ. وَسَيَتَكَلَّمُ مَعَ أَشْخَاصٍ مُخْتَلِفِينَ، فِي لِقَاءَاتٍ أَجْرَاهَا خِلَالَ حَيَاتِهِ مَعَ أَناسٍ إلتَقَى بِهِم عِبْرَ هَذَا الإِنْجِيلِ. وَلَكِن مَازَا تُخْبِرُنَا هَذِهِ المَقَابِلَاتُ مَعَ هَؤُلَاءِ النَاسِ؟

يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا صِرَاحَةً مَا تَقُولُهُ لَنَا. عِنْدَمَا ذَهَبَ يَسُوعُ وَإلتَقَى بِالنَاسِ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ، لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ. وَلَكِن عِنْدَمَا آمَنُوا، أَعْطَاهُم سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَبْنَاءَ اللَّهِ، فَأَخْتَبَرُوا أَمْرًا مُمَيَّزًا. لَقَدْ وُلِدُوا مِنَ اللَّهِ. هَذَا مَا سَيُخْبِرُنَا بِهِ يُوحَنَّا، بِحَسَبِ هَذِهِ المَقْدَمَةِ. فِي كُلِّ هَذِهِ الإِصحاحاتِ وَالمَلقَآتِ الَّتِي تَتَبَعُ، هَذَا بِالتَّحْدِيدِ مَا سَيُظْهِرُهُ لَنَا يُوحَنَّا، وَمَا سَيُخْبِرُنَا بِهِ. عِنْدَمَا وَصَلَ يُوحَنَّا إِلَى نَهَايَةِ إِنْجِيلِهِ، أَخْبَرَنَا مَا قَالَهُ لَنَا بِإِعْطَائِنَا هَدَفَهُ المَعْلَنَ مِنَ كِتَابَةِ الإِنْجِيلِ. أَخْبَرَنَا أَنَّ هُنَاكَ أُمُورًا كَثِيرَةً عَمِلَهَا يَسُوعُ. فَهُوَ يَقُولُ فِي نَهَايَةِ الإِصحاحِ ٢٠، "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَنَعَ يَسُوعُ قَدَّامَ تَلَامِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هَذَا الكِتَابِ. وَأَمَّا هَذِهِ فَقدَ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَلِكِي تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ."

الفصل الثالث

"الشاهد"

(يُوحَنَّا ١ : ١ - ١١)

"كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ إِسْمُهُ يُوحَنَّا. هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيشْهَدَ لِلنُّورِ لِكِي يُؤْمِنَ الكُلُّ بِوِاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ النُّورَ بَلْ لِيشْهَدَ لِلنُّورِ. يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ وَنَادَى قَائِلًا هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ إِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قَدَّامِي لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. وَمِنْ مِلَّةِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا. وَنِعْمَةٌ فَوْقَ نِعْمَةٍ. لِأَنَّ التَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ. أَمَّا النِّعْمَةُ وَالحَقُّ فَيَسُوعُ المَسِيحُ صَارَا." (١ : ١٧)

فِي الإِصحاحاتِ الأُولَى مِنَ هَذَا الكُتَيْبِ، رَكَزْتُ بِشَكْلِ أساسِيٍّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْدَادٍ مِنَ مُقَدِّمَةِ :إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، أَيِ الأَعْدَادِ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ الأُولَى. وَبَيْنَمَا كُنَّا نَنْظُرُ إِلَى هَذِهِ المَقْدَمَةِ فِي حَلْقَتِنَا الأَخِيرَةِ، رَكَزْنَا بِشَكْلِ أساسِيٍّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْدَادٍ مِنَ الإِصحاحِ الأَوَّلِ: العَدَدُ ١، ١٤، وَ ١٨. بَيْنَ هَذِهِ الأَعْدَادِ السِّتَّةِ، أَيِ فِي الأَعْدَادِ ٦ إِلَى ٨، وَ ١٥ إِلَى ١٧، تَمَّ تَقْدِيمُنَا إِلَى

رَجُلٌ آخَرُ هُوَ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ. قَالَ يَسُوعُ شَيْئاً عَنِ هَذَا الرَّجُلِ، الَّذِي يُعْتَبَرُ أَعْظَمَ إِطْرَاءٍ حَصَلَ عَلَيْهِ إِنْسَانٌ فِي التَّارِيخِ. قَالَ يَسُوعُ، "لَا يُوجَدُ مَوْلُودٌ امْرَأَةً أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ، وَلَا يُوجَدُ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ."

وهكذا كَانَ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ أَعْظَمَ الأنبياءِ بَنَظَرِ يَسُوعَ، أَوْ أَعْظَمَ النَّاسِ الَّذِي عَاشُوا حَتَّى ذَلِكَ الوَقْتِ. (مَتَّى ١١ : ١١؛ لُوقَا ٧ : ٢٨). إِنَّ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَوْقِفَنَا وَيَجْعَلَنَا نَنْظُرُ عَنِ كَتَبِ إِلَى هَذَا الإِنْسَانِ، الَّذِي أُرْسِلَ مِنَ اللَّهِ، وَالَّذِي كَانَ إِسْمُهُ يُوحَنَّا. إِنَّ كَاتِبَ هَذَا الإِنجِيلِ يُوضِحُ تَمَاماً أَنَّ يُوحَنَّا هَذَا لَمْ يَكُنْ هُوَ التُّورِ، بَلْ جَاءَ لِيَشْهَدَ لِلتُّورِ. فِي هَذِهِ المَقْدَمَةِ، لَاحِظُوا كَمْ مَرَّةً إِسْتُخِدِمَتِ صِبِغَةُ الفِعْلِ "كَانَ"، إِشَارَةً إِلَى يَسُوعَ المَسِيحِ. فَحَنُ نَقَرْنَا مَرَاراً وَتَكَرَّراً فِي الأَعْدَادِ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ الأُولَى مِنَ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا عَنِ أَنَّ يَسُوعَ: "كَانَ، وَكَانَ، وَكَانَ." وَلَكِنْ لَاحِظُوا أَنَّهُ عِنْدَمَا يَتِمُّ تَعْرِيفُنَا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ، يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ، كَيْفَ أَتْنَا نَقَرْنَا دَائِماً: "لَمْ يَكُنْ، لَمْ يَكُنْ، لَمْ يَكُنْ."

لَاحِظُوا أَنَّهُ عِنْدَمَا أَصْبَحَ يَسُوعُ، الكَلِمَةُ الحَيِّ، جَسِداً، كَمْ كَانَ يُكَرِّرُ القَوْلَ، "أَنَا هُوَ، أَنَا هُوَ، أَنَا هُوَ." إِحْدَى أَرْوَاعِ الطَّرِيقِ لِدِرَاسَةِ حَيَاةِ المَسِيحِ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، هِيَ تَتَّبِعُ أَقْوَالَ المَسِيحِ عَنِ نَفْسِهِ عِبْرَ هَذَا الإِنْجِيلِ، حَيْثُ كَانَ يَقُولُ: "أَنَا هُوَ..." وَحَيْثُ كَانَ يَسُوعُ يُصِرُّ عَلَى القَوْلِ "أَنَا هُوَ..."، لَاحِظُوا كَمْ مِنَ المَرَّاتِ نَسْمَعُ يُوحَنَّا يَقُولُ غَالِباً العَكْسِ. فَحَنُ نَسْمَعُ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ يُصِرُّ عَلَى قَوْلِ التَّالِي: "وهذه هي شَهَادَةُ يُوحَنَّا حِينَ أُرْسِلَ اليَهُودَ مِنْ أُورَشَلِيمِ كَهَنَةً وَلَاوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ مَنْ أَنْتَ. فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ وَأَقْرَأَ أَنِّي لَسْتُ أَنَا المَسِيحِ. فَسْأَلُوهُ إِذَا مَاذَا، إِيْلِيَا أَنْتَ. فَقَالَ لَسْتُ أَنَا. أَلنَّبِيِّ أَنْتَ. فَاجَابَ لَا. فَقَالُوا لَهُ مِنْ أَنْتَ لِنُعْطِيَ جَوَاباً لِلَّذِينَ أُرْسَلُونَا. مَاذَا تَقُولُ عَنِ نَفْسِكَ. قَالَ أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي البَرِّيَّةِ قَوْمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ كَمَا قَالَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيِّ. وَكَانَ المُرْسَلُونَ مِنَ الفَرِيسِيِّينَ." (يُوحَنَّا ١ : ١٩ - ٢٤).

عِنْدَمَا تَمَّ تَكْلِيفُ السُّلْطَاتِ الدِّيْنِيَّةِ بِمُقَابَلَةِ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ وَمُسَاءَلَتِهِ: "أَلْمَسِيحُ أَنْتَ؟ أَيْلِيَا أَنْتَ؟ أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟ مِنْ أَنْتَ؟ مَاذَا تَقُولُ عَنِ نَفْسِكَ؟" عِنْدَمَا أَجَابَ، "لَا، لَسْتُ أَنَا،" إِجَابَةً عَلَى أَسْئَلَتِهِمْ، لَاحِظُوا كَمْ كَانَ مُصِرّاً عَلَى التَّصْرِيحِ قَائِلاً، "لَسْتُ أَنَا."

نَلْتَقِي بِهَذَا الرَّجُلِ مُجَدِّدًا فِي الإِصْحَاحِ الثَّالِثِ. جَاءَ تَلَامِيذُ يُوْحَنَّا إِلَيْهِ وَسَأَلُوهُ، "يَا مُعَلِّمُ، الْجَمِيعُ يَذْهَبُونَ لِيَسْمَعُوا ذَاكَ الرَّجُلَ الَّذِي قَالَ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْكَ. وَلَمْ يَعْذُ أَحَدٌ يَأْتِي لِيَسْمَعَ وَعِظَكَ." فَأَجَابَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ بِمَا مَعْنَاهُ، "لَقَدْ قُلْتُ لَكُمْ لَسْتُ أَنَا إِيَّاهُ. قُلْتُ لَكُمْ لَسْتُ أَنَا، بَلْ هُوَ الْمُهَمُّ. وَبِنَبْغِي أَنَّهُ هُوَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقَصُ. فَهُوَ الْعَرِيسُ وَهَؤُلَاءِ النَّاسُ هُمُ الْعَرُوسُ. وَأَنَا لَسْتُ سِوَى صَدِيقِ الْعَرِيسِ، الَّذِي يَفْرَحُ بِرُؤْيَا الْعَرِيسِ يَتَزَوَّجُ مِنْ عَرُوسِهِ (٣: ٢٨ - ٣٠).

مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ سِرُّ عِظْمَةِ هَذَا النَّبِيِّ وَالرَّجُلِ وَالشَّاهِدِ، هُوَ بِيَسَاطَةِ التَّالِي: أَنَّهُ قَبْلَ مَحْدُودِيَّاتِهِ، وَقَبْلَ مَسْئُولِيَّةِ مُؤَهَّلَاتِهِ. لَقَدْ قَبِلَ مَسْئُولِيَّةَ كَوْنِهِ مِنْ أَرَادَةِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ، وَأَيْضًا عَرَفَ مَنْ لَمْ يَكُنْ. وَعِنْدَمَا أَصَرَ عَلَيْهِ رِجَالُ الدِّينِ طَالِبِينَ جَوَابَهُ عَلَى سُؤَالِهِمْ، قَالَ لَهُمْ أَنَّهُ صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. هَذَا مِنْ وَمَا وَحَيْثُ كَانَ يُوْحَنَّا مُكَلَّفًا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ. لَقَدْ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَكُونُ مِنَ الْغَبَاءِ بِأَنْ يُحَاوَلَ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَمَّنَ أَنَّ الْحَيَاةَ كَانَتْ ذَاتَ قِيَمَةٍ أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ أَنْ تَكُونَ أَقْلَ مِمَّا أَرَادَهُ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَكُونَهُ.

أَحَدُ الأَسْئَلَةِ الَّتِي طَرَحَهَا رِجَالُ الدِّينِ عَلَى يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، كَانَ: "مَاذَا تَقُولُ عَنِ نَفْسِكَ؟" إِنَّ كَلِمَةَ "نَفْسٍ" مُعْرَفَةٌ فِي الْقَامُوسِ كالتَّالِي: "فِرَادَةٌ أَوْ فِرَادِيَّةٌ أَيُّ شَخْصٍ الَّتِي تَجْعَلُ مِنْهُ مُمَيَّزًا عَنِ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ."

يُعَلِّمُ الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ بِإِنْسِجَامٍ مَعَ نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَمَا صَنَعَ اللَّهُ وَصَنَعِي، وَعِنْدَمَا صَنَعَ اللَّهُ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، صَنَعَ كُلًّا مِمَّا وَرَمَى الْقَالَِبَ الَّذِي صَنَعْنَا بِهِ. فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَصْنَعُ بِهَا اللَّهُ كَائِنًا بَشَرِيًّا، يَرْمِي الْقَالَِبَ بَعِيدًا. فَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ نَظِيرَكَ، وَلَمْ يَكُنْ وَلَنْ يَكُونَ أَحَدٌ نَظِيرَكَ تَمَامًا. فَأَنْتَ شَخْصٌ فَرِيدٌ وَفَرْدِيٌّ. وَكُلُّ كَائِنٍ بَشَرِيٍّ مُصَمَّمٌ لِيَكُونَ فَرِيدًا. فَهُنَاكَ مَا يَزِيدُ عَلَى السِّتِّينَ بَلْيُونَ بَصْمَةَ إِصْبَعٍ فِي الْعَالَمِ وَأَكْثَرَ، وَكُلُّ إِصْبَعٍ يَحْمِلُ بَصْمَةً مُخْتَلِفَةً عَنِ الإِصْبَعِ الْآخَرَ. هَذِهِ شَهَادَةٌ عَلَى فِرَادَةِ خُطَّةِ اللَّهِ لِكُلِّ كَائِنٍ بَشَرِيٍّ بِذَاتِهِ. فَمَا تُسَمِّيهِ الْيَوْمَ بِالْحَمِضِ النَّوَوِيِّ، يَذْهَبُ إِلَى مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ بَصْمَاتِ الأَصَابِعِ، لِلتَّكْيِيدِ عَلَى صِحَّةِ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ الْعَظِيمَةِ.

بِحَسَبِ كَلِمَةِ اللَّهِ، أَحَدُ أَوَّلِ نَتَائِجِ خِلَاصِنَا، هِيَ مَا يُسَمِّيهِ بُولْسُ، "إِرَادَةُ اللَّهِ الصَّالِحَةِ الْمَرْضِيَّةِ وَالْكَامِلَةِ" لِحَيَاتِنَا (رُومِيَّةُ ١٢: ١، ٢). بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، عِنْدَمَا نُؤَلِّدُ مِنْ

جديد، نكتشفُ فرادتنا وخصوصيتنا في المسيح. وقبل أن نُولدَ من جديد، نميلُ للتقليدِ والنسخِ و المطابقة، أو لنسمحَ لِنُفوسِنَا بأن يتسلطَ الآخرونَ علينا إلى أن نُصبحَ مثلَ الآخرين. ونكونُ بهذا مُشابهينَ لِعيسو في العهدِ القديم. "نبيعُ بُكوريتنا من أجلِ صحنٍ من الحساء." (تكوين ٢٥ : ٢٩ - ٣٤) ولهذا سوفَ نخسرُ فرادتنا وفرديتنا، وما نُسميه هويتنا. تُشيرُ كلمةُ الله إلى هذا الشخصِ الفريد الذي يُريدك اللهُ أن تكونهُ بـ"النفسِ أو الذات." عندما قال يسوع، "لأنهُ ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو ربحَ العالمَ كُلَّهُ وخسرَ نفسه،" أو "ماذا يُعطي الإنسانُ فداءً عن نفسه،" كانَ يتكلّمُ عن الشخصِ الفريد الذي أرادنا اللهُ أن نكونهُ، والذي سيميزنا عن الآخرين. (مرقس ٨ : ٣٦، ٣٧)

إنَّ مَشِيئَةَ اللهِ تَجاهَكَ كَكاثِنِ بَشَرِيٍّ هِيَ صالِحَةٌ، مَرَضِيَّةٌ، وَكاملَةٌ. ولن تكتشفَ هذه الفِرادَةُ أو الفِردانيَّة، إلى أن تأتيَ إلى المسيح، ولكن إحدى نتائج المَجيءِ إلى المسيح، هو إكتشاف إرادة الله الصالِحَةِ والمَرَضِيَّةِ والكاملَةِ لحياتنا. أيُّ شخصٍ إكتشفَ إرادةَ الله الصالِحَةَ لَهُ، كما إختبرها يُوحنا المعمدان، سوفَ يقبلُ مَحدودياتِهِ ومسؤولياتِهِ لِيكونَ من وما وحيثُ يُريدهُ اللهُ أن يكونَ.

إنَّ مِثالَ يُوحنا المعمدان يُقدّمُ لنا على صَفحاتِ الكتابِ المقدّس، ليضعنا أمامَ التحدّي أن نُؤمنَ أن الإلهَ نفسه الذي كانَ لَدِيهِ قَصدٌ لِحياةِ يُوحنا المعمدان، لَهُ قَصدٌ لحياتنا نحنُ اليوم. هل تعرفُ من يُريدك اللهُ أن تكونَ؟ وهل تُؤمنُ أن اللهُ لَدِيهِ حُطَّةٌ لما وأينَ يُريدك اللهُ أن تكونَ في هذا العالمِ؟ بهذه الطريقة ينبغي علينا أن نُطبّقَ على حياتنا الشَّخصيَّةِ ما يُعلّمنا بِهِ الكتابُ المقدّسُ عن أعظمِ إنسانٍ وأعظمِ نبيٍّ عاشَ حتّى ذلكَ الحين.

شهادةُ يُوحنا

في الإصحاحِ الأوّلِ من هذا الإنجيل، في العدد ١٩، نقرأ: "وهذه هي شهادةُ يُوحنا،" وفي العدد ٣٢ نقرأ، "وشهدَ يُوحنا قائلًا." ثمَّ في العدد ٣٤، يتكلّمُ يُوحنا بنفسِهِ قائلًا: "وأنا قد رأيتُ وشهدتُ." فالآن، ما هي شهادةُ يُوحنا؟ إنَّ شهادةَ يُوحنا المعمدان مُنسجَمَةٌ معَ موضوعِ هذا الإنجيل. تذكروا أن أحدَ الأشياءِ الفريدة حولَ إنجيلِ يُوحنا هي أَنَّهُ يُوجدُ حُجَّةٌ منطقيَّةٌ مُتسلسلةٌ عبرَ هذا الإنجيل. هذه الحُجَّةُ المنطقيَّةُ لها علاقةٌ بالقصدِ

من كتابة هذا الإنجيل، المُعلن في العديدين الأخيرين من الإصحاح ٢٠، والذي هو إقناعنا بأن يسوع هو المسيح، المَسِيَّا، ابن الله، لكي نُؤلَدَ من جديد وننال الحياة الأبدية.

في العدد ٢٦، نجد أن يوحنا يُجيبُ على السؤال، "لماذا تُعمدُ؟" بالقول، "أنا أعمدُ بماء. ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه. هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي الذي لست بمستحق أن أحلَّ سيورَ حذائه."

ثم نقرأ في العدد ٢٩: "وفي العَدِ نظرَ يوحنا يسوع مُقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم. هذا هو الذي قلتُ عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي. وأنا لم أكن أعرفه. لكن يُظهر لإسرائيل لذلك جئتُ أعمدُ بالماء. وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيتُ الروحَ نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقرَّ عليه. وأنا لم أكن أعرفه. لكن الذي أرسلني لأعمدُ بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروحَ نازلاً ومُستقرّاً عليه فهذا هو الذي يُعمدُ بالروح القدس. وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابنُ الله."

ما يقوله لنا يوحنا المعمدان هو التالي: عندما أُرسِلَ ليعمّد، الذي أرسله ليعمّد قال له، "يوماً ما، أنت ستعمد الناس. ولكن هناك شخصاً معيناً عندما ستعمده، سوف يحلُّ الروح القدس عليه بشكل حمامة ويستقرُّ عليه. وعندما سيحدث هذا، سوف تعرف أن هذا الإنسان هو ابنُ الله." ويوحنا شهد أنه عندما كان يُعمد، رأى الروحَ نازلاً من السماء مثل حمامة ومُستقرّاً على هذا الإنسان، الذي كان يسوع الناصري. وهكذا قال يوحنا، "وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أن هذا (يسوع الناصري) هو ابنُ الله."

وهو يُقدِّمه قائلاً، "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم." (يوحنا ١: ٢٩) وكونه آخر وأعظم الأنبياء، تمَّ يوحنا المعمدان معنى الملايين من الخراف التي كانت تُقدِّم ذبائح، طاعةً لنا موسى الله كما تمَّ تعليمه في سفري الخروج واللاويين. إن قلبَ وجوهرَ كلِّ هذه الذبائح، كان ممثلاً في العبادة اليهودية الأصلية لعيد الفصح (خروج ١٢؛ لوقا ٢٢: ١٥، ١٦).

إنَّ تقدّم يسوع من قبل يوحنا المعمدان يربطُ بين موت يسوع المسيح على الصليب وبين كلِّ تلك الذبائح الحيوانية التي كانت في قلب الطقوس اليهودية. كان بروثوكول العبادة الجميل ساري المفعول عندما أعطى الله موسى التعليمات لحيمة

الإجتماع. عدَّةُ إصحاحاتٍ من سفرِ الخروجِ تبدو وكأنَّها كتابُ هندسةٍ معماريةٍ، لأنَّ اللهَ أرادَ أن تكونَ هذه الطُّقُوسُ التي كانت تُظهِرُ للشَّعبِ الخاطيءِ كيفَ يقتربُ من اللهِ القدوسِ، أرادَ اللهُ هذه الطُّقُوسُ أن تكونَ بسيطةً جدًّا وسهلةَ الفهمِ. كانَ هيكلُ سليمانَ مركزَ عبادةٍ مُزخرفٍ وجميلٍ، فيه كانت تتمُّ مُمَارَسَةُ نماذجِ الطُّقُوسِ ذاتها التي أمرَ بها وكانت تُمارَسُ في خيمةِ العبادةِ لقرونٍ طويلة.

يدَّعي الأشخاصُ الذين ليسَ العهدُ القديمُ مألوفًا بالنسبةِ إليهمَ أنَّه عندما علَّقَ الرومانُ يسوعَ على الصَّليبِ، اخترَعَ أتباعهُ فكرةَ كونهِ حملَ اللهِ. ولكنَّ يوحنا المعمدانَ يُقدِّمُ ذلكَ المفهومَ في بدايةِ خدمةِ يسوعَ المسيحِ. وينضمُّ الرُّسلُ إلى أنبياءِ العهدِ القديمِ وإلى يوحنا المعمدانِ، عندما يربطونَ موتَ المسيحِ معَ حملِ الفصحِ، ومعَ العددِ الذي لا يُحصَى من الحيواناتِ التي كانت تُقدِّمُ كذبائحٍ في هيكلِ سليمانَ، وفي خيمةِ العبادةِ في البريةِ (إشعيا ٥٣؛ أبطرس ١: ١٨، ١٩؛ ٢: ٢٣، ٢٤؛ ٢ كورنثوس ٥: ٢١).

الشَّاهد

قبلَ أن تنتهيَ من حياةِ يوحنا المعمدانِ، يُوجدُ مفهومٌ هامٌّ آخرَ ينبغي أن نتعلَّمَهُ منه — ألا وهوَ مفهومُ الشَّاهدِ. قالَ يسوعُ، "وتكوُنونَ لي شُهودًا في أُورشليمَ واليهوديَّةِ والسَّامِرةِ وإلى أقصَى الأرضِ." (أعمال ١: ٨).

ما هوَ الشَّاهدُ؟ الشَّاهدُ هوَ شخصٌ إختبرَ أو لاحظَ شيئًا، وشعرَ بمسؤوليةِ الإخبارِ بما إختبرَهُ أو لاحظَهُ. رُغمَ أنَّ كوننا شُهودًا يتعلَّقُ بمن نحنُ أكثرُ ممَّا يتعلَّقُ بما نعملُ، فإنَّ مسؤوليتنا بأن نكونَ شُهودًا تتطلَّبُ أكثرَ من مُجرَّدِ من وماذا نحنُ. أن نكونَ شُهودًا يعني التحدُّثَ علنًا عمَّا لاحظناهُ وإختبرناهُ.

تصوِّرُ أنَّكَ طُلبتَ من قِبَلِ محكمةٍ لتكوُنَ شاهِدًا. سيجعلونكَ تقفُ على منصَّةِ الشَّاهدِ، وسيطرحونَ عليكَ أسئلةً عمَّا إختبرتهُ ولاحظتهُ. أتساءلُ ما إذا كانتِ المحكمةُ ستوافقُ معكَ في حالِ رفضتَ أن تقولَ أيَّ شيءٍ مُدَّعيًا القول: "سوفَ أجعلُ حياتي بكلِّ بساطةٍ تكوُنُ الشَّاهدِ." فهل تظنُّ أن هذا سيكونُ مقبولًا من المحكمةِ. بالطبع لا، بل

سوف تُرغمُ على الكلام، وإلا تمَّ إتهامُك بإحتقارِ المحكِّمةِ وبعدمِ طاعةِ السُّلطةِ. فالشَّاهدُ يتكلَّمُ عمَّا سبقَ ولا حظَّهُ وإحتبرُهُ.

وبما أنَّ مواعظَ يوحنا المعمدان الرثانة أوصَلتهُ إلى الزَّناةِ، فعندما أظهرَ شجاعةً كبيرةً في مُواجهةِ خطيئةِ ملكٍ شريرٍ، أدَّى به هذا الأمرُ إلى قطعِ رأسِهِ، الأمرُ الذي أظهرَ به لنا يوحنا أنَّ الشَّاهدَ هو شخصٌ يتكلَّمُ علانيةً. ومن خلالِ مثاله، يُظهرُ لنا معنىً آخر من معاني كونِ الإنسانِ شاهداً. إنَّ الكَلِمَةَ اليُونانِيَّةَ التي يَستَخدِمُها كُتَّابُ العَهْدِ الجَدِيدِ للتَّعبيرِ عن "شاهد"، هي كلمةٌ تشتقُّ بِجذرها اللُّغوي من: "شَهِيد". بِحَسَبِ هذا الشَّاهدِ الأَمِينِ، كَشْهُودِ عَلِينَا أَنْ لَا نَجُوعَ وَنَعَطِشَ لِلسَّعَادَةِ وَالبَقَاءِ، بل لِلبِرِّ الَّذِي يَجْعَلُنَا شُهُوداً لِمَجْدِ اللَّهِ.

الفصلُ الرَّابِعُ "النَّعْمَةُ وَالْحَقُّ"

نَقْرَأُ فِي مُقَدِّمَةِ هَذَا الإِنْجِيلِ: "وَمِنْ مِلَّةِ نَحْنُ جَمِيعاً أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ. لِأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ. أَمَّا النَّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيسُوعِ الْمَسِيحِ صَارَا." (يُوحَنَّا ١ : ١٧)

ماذا يعني هذا؟ كلمةُ نِعْمَةٍ بِالْيُونَانِيَّةِ هِيَ، "خَارِيس". فعندما تَعْمَلُ النَّعْمَةَ فِي حَيَاتِنَا، تُسَمَّى "خَارِيسِماً أَوْ خَارِيسْمَاتَا." فَنِعْمَةُ اللَّهِ تُعْرَفُ كَعَطْفِ وَبَرَكَاتِهِ اللَّهِ الَّتِي لَا نَسْتَحِقُّهَا. فَنَحْنُ لَا نَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِنَ اللَّهِ. فَكُلُّ مَا يُعْطِينَا إِيَّاهُ اللَّهُ هُوَ نِعْمَةٌ.

وَلَكِنْ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِهَا عَطْفُ اللَّهِ الَّذِي لَا نَسْتَحِقُّهُ، فَإِنَّ النَّعْمَةَ هِيَ أَيْضاً قُوَّةٌ أَوْ سُلْطَةُ اللَّهِ. النَّعْمَةُ هِيَ قُوَّةُ اللَّهِ الدِّينَامِيكِيَّةِ. "النَّعْمَةُ هِيَ عَمَلُ اللَّهِ فِيْنَا، وَلَكِنْ بِدُونِنَا." النَّعْمَةُ هِيَ تِلْكَ الْوَلَادَةُ الْجَدِيدَةُ الَّتِي يُنْجِزُهَا اللَّهُ فِيْنَا، بِدُونِ آيَةٍ مُسَاعِدَةٍ مِنَّا، بِإِسْتِثْنَاءِ إِيمَانِنَا. "فَمَشِيئَةُ اللَّهِ لَنْ تَأْخُذَنَا أَبَداً إِلَى حَيْثُ لَا نَسْتَطِيعُ نِعْمَةَ اللَّهِ أَنْ نَحْفَظُنَا. هَذِهِ مُحَاوَلَةٌ أُخْرَى لِإِبْرَازِ مَعْنَى هَذَا الْمَفْهُومِ لِنِعْمَةِ اللَّهِ.

وَكأنَّنَا نَقُولُ لِلَّهِ، "أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ." وَيَقُولُ اللَّهُ، "أَنَا أَعْرِفُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَنَا أَسْتَطِيعُ. فَإِذَا جَعَلْتَ حَيَاتِكَ تَنسَجِمُ مَعِي بِالطَّرِيقَةِ الصَّحِيحَةِ، بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَقْبَلَ مِنِّي الْقُوَّةَ الدِّينَامِيكِيَّةَ لِتَكُونَ وَلِتَعْمَلَ مَا أُرِيدُهُ. فَكَمَا تَرَى، لَيْسَتْ الْقَضِيَّةُ مِنْ أَوْ مَاذَا أَنْتَ، أَوْ مَاذَا تَسْتَطِيعُ أَوْ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ. بَلِ الْقَضِيَّةُ هِيَ مِنْ أَنَا، وَمَا أَسْتَطِيعُ أَنَا أَنْ أَعْمَلَهُ.

لهذا، اجعل نفسك على إنسجامٍ معي، ثم تعال وتحقق من أنني قادرٌ أن أُوَدِّدَكَ وأزوِّدَكَ بالقُوَّة لتُكُونَ كُلَّ ما أُرِيدُكَ أن تُكُونَهُ، وأن تعملَ كُلَّ ما أُرِيدُكَ أن تعملَهُ. إتبِعني وسأظهرُ لك صِحَّةَ هذا الأمر.

عندما يُفكِّرُ كثيرونَ بأن يُصِبِحُوا أتباعَ للمسيح، ويرونَ ما يعنيه هذا من تغييرٍ جذريٍّ مُطلقٍ في أسلوبِ حياتهم، يقولون، "أنا لا أستطيعُ أبداً أن أعملَ هذا. لا أستطيعُ أن أعيشَ هكذا أبداً." بالطبع هم على حقِّ. فليسَ بإمكانك أن تعيشَ هكذا؛ ليسَ بإستطاعتك أن تعملَهُ؛ ولا يستطيعُ أيُّ كائنٍ بشريٍّ آخر أن يعملَهُ، إلا إذا أُعْطِيَ له نعمةُ الله. فإذا مُنِحَ نعمةُ الله، بإمكانه أن يعملَ ذلك. هذا هو المقصودُ في الأعداد ١٥ إلى ١٧ حيثُ نقرأ، "ومن ملئِهِ نحنُ جميعاً أخذنا، ونعمةٌ فوقَ نعمة." تقولُ إحدى الترحمات، "بركةٌ فوقَ بركة."

تُعتبرُ هذه أخباراً سارةً: "لأنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أمَّا النِّعْمَةُ والحَقُّ فَبِيسُوعِ الْمَسِيحِ صَارَا." لقد أعطى اللهُ شعبَهُ حقاً رائعاً من خلالِ مُوسَى. ولكن عندما أعطانا اللهُ إعلانَهُ الأعظمَ للحقِّ من خلالِ الكلمةِ الأزليِّ الذي صارَ جسداً، أعطانا أيضاً النِّعْمَةَ الخارقةَ للطَّبيعة لتطبيقِ هذا الحقِّ على حياتنا. هذه إشارةٌ بدونِ شكِّ إلى يومِ الخمسين، عندما حلَّ الرُّوحُ القُدُّسُ على أتباعِ المسيح. ولقد تمَّ وصفُ نتائجِ هذا الحدِّثِ العجيبِ في سفرِ الأعمالِ بالطريقةِ التَّالِيَةِ: "ونعمةٌ عظيمةٌ كانت على جميعِهِمْ." (أعمال ٤ : ٣٣)

لقد سبقَ وكانت الأسفارُ المُقدَّسةُ متوفِّرةً لدى المُؤمنينَ العبرانيين الذي إختبرُوا العنصرَةَ. فلقد سبقوا وأخذوا ناموسَ اللهِ من خلالِ مُوسَى. ولقد تمتَّعوا لقرونٍ طويلةً بالحقِّ الذي أظهرَ لهم كيفَ يعيشون، ولكن لم يكنْ لديهم ديناميكيةٌ تطبيقِ هذا الحقِّ على حياتهم. لهذا حياةُ مؤمِنِي العهدِ القديمِ كانت دائماً تحذيراتٍ تنفادها، بدل أن تُكونَ لنا نماذجَ نقتدي بها (١ كورنثوس ١٠ : ١١).

يقولُ كُتَّابُ العهدِ الجَدِيدِ، أمثالِ الرَّسُولِ بُولُسِ، أنَّ النَّامُوسَ هُوَ مُجَرَّدُ حَدِّ مُسْتَقِيمٍ يُوضَعُ إلى جانِبِ إِعْوَاجِنا، يُظهِرُ مدى إِعْوَاجِ طُرُقنا (رُومية ٣ : ١٩، ٢٠). يقولُ يعقوبُ أنَّ كَلِمَةَ اللهِ هي بِمِثَابَةِ مِرآةٍ يتوجَّبُ علينا أن ننظرَ إليها في كُلِّ صَبَاحٍ، لكي نرى عيوبنا (يعقوب ١ : ٢٢ - ٢٥). ولكن عندما نرى الإِعْوَاجِ، وعندما نرى

العيوب، أين يُمكنُ أن نجدَ السُّلْطَةَ لِتَقْوِيمِ إِعْرَاجِنَا، أو لِنَقُومَ بِالتَّصْحِيحَاتِ الَّتِي نَحْتَاجُ إليها في كُلِّ صَبَاحٍ عندما ننظرُ إلى مرآةِ كَلِمَةِ اللَّهِ؟ بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى، أينَ يُمكنُنا أن نجدَ النِّعْمَةَ لِتَقْوِيمِ إِعْرَاجِ حَيَاتِنَا؟

هذا ما يُخبرنا به يوحنا في هذه المقدمة، عندما يقولُ أننا قد أخذنا نعمةً فوق نعمة. هذه أخبارٌ سارةٌ جداً: "لأنَّ التَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيسُوعِ الْمَسِيحِ صَارَا."

تَعَالِيَا وَانظُرَا

عندما قدَّمَ يوحنا المعمدان يسوعَ بأنَّه "حملُ الله" نقرأُ أنَّه كانَ هناكَ أشخاصٌ مع يوحنا المعمدان كانوا تلاميذه. وكانَ أندراؤسُ واحداً منهم. ولكن لا يُخبرنا الكتابُ المقدَّسُ من كانَ التلميذَ الآخر. يعتقدُ المُفسِّرونَ أنَّ التلميذَ الآخرَ كانَ يوحنا، كاتبَ هذا الإنجيل. ويعتقدُ المُفسِّرونَ بها لِسَبَبَيْنِ.

عندما نقرأُ أنَّ، "أندراؤسُ وجدَ أولاً أخاهُ سِمعانَ"، يقولُ الأُصلُ اليُونانِيُّ أنَّ أندراؤسَ كانَ أوَّلَ من وجدَ أخاهُ. وكانَ ليوحنا أيضاً أخاً، وكانت مجموعتنا هؤلاء الإخوة شركاءَ في صيدِ السمك. "كانَ أندراؤسُ أوَّلَ من وجدَ أخاهُ سِمعانَ (الذي أصبحَ يُعرفُ لاحقاً بِاسمِ بطرس)، وقدَّمَهُ لِيَسُوعَ." هذا هو جوهرُ معنى هذه الكلماتِ اليُونانِيَّةِ. السَّبَبُ الثَّانِي الذي لأجله يُعتبرُ المُفسِّرونَ أنَّ التلميذَ الآخرَ كانَ يوحنا، هو أنَّ كاتبَ هذا الإنجيل حَرَصَ دائماً على أن يَحْتَفِيَّ قَدْرَ الإمكانِ من نصِّ الإنجيل الذي كتبه، مُشيراً إلى نفسه بالقول، "التلميذَ الذي كانَ يسوعُ يُحبُّه." ويتميَّزُ أسلوبُ كتابَةِ يوحنا بِإخفاءِ المَعْلُومَاتِ الَّتِي تُوضِحُ أنَّه كانَ هوَ ذلكَ التلميذَ الآخرَ ليوحنا المعمدان، والذي أصبحَ لاحقاً واحداً من رُسُلِ يسوعِ المسيح.

وعندما أمرَ يوحنا المعمدان هذينَ التلميذَينَ بِاتِّبَاعِ يسوعَ: "إِلْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ فَقَالَ لَهُمَا مَاذَا تَطْلُبَانِ. فَقَالَ رَبِّي الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمَ أَيْنَ تَمُكُّثُ؟ فَقَالَ لَهُمَا تَعَالِيَا وَانظُرَا. فَأَتِيَا وَنَظَرَا أَيْنَ كَانَ يَمُكُّثُ وَمَكَثَا عِنْدَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ." يوحنا ١: ٣٥ - ٣٩.

وقلتُ في مُقَدِّمَتِنَا أن ننظرَ دائماً إلى المعنى الأعمق في إنجيلِ يوحنا. فهناك دائماً معنى أعمق في إنجيلِ يوحنا. فما هو الذي كانَ يحدثُ هنا، عندما قيلَ لِتلميذِي يوحنا

المعدان أن يتبعا يسوع؟ بينما تبعا يسوع، إلتفت يسوع إليهما ودارت بينهما وبينه هذه المحادثة. فكان سؤاله لهما، "ماذا تريدان؟" كان هذا سؤالاً عميقاً. فلقد خلقنا الله كصاحبي خيار. وهذا أمرٌ مقدسٌ بالنسبة لله. فالله لن ينتهك حُرِّيَّةَ الإرادة والإختيار التي أعطاهما للإنسان. نحن مخلوقات ذات خيار، وبإمكاننا أن نجعل الأمور تسير على ذوقنا.

يُعطينا سفرُ المزامير الوعدَ العظيمَ بأنَّ الله سيعطينا رغباتِ قلوبنا (مزمور ٣٧: ٤). مؤمنون كثيرون يطالبون بهذا الوعدِ العظيم، وهو بالفعل كذلك. وهو أيضاً تحدٍ عظيم، لأنه يطرح السؤال، ما هي رغبات قلوبكم؟ هل تريدون أن تسترخوا وتستسلموا للكسل والنوم؟ هل تريدون أن تكونوا ذوي أخلاقٍ منحلَّة؟ إن كان هذا ما ترغبون به، فالمشكلة بين أيديكم، والحياة هي حياتكم. فيتوجب علينا أن ندفع ثمن عواقب خيارتنا، ولكن بإمكاننا أن نعيش حياتنا بالطريقة التي نريد.

قال الشاعر، "عاجلاً أم آجلاً، سيجلس كل إنسانٍ ليتناول الطعام على مائدة عواقب خيارته." إن هذه الكلمات صحيحةٌ للغاية. وكثيراً ما استخدم يسوع حجة العواقب في تعليمه (متى ٧: ١٣ - ٢٧). فالحياة هي مائدة عواقب. وجميعنا علينا أن نأكل مائدة عواقب خيارتنا، عاجلاً أم آجلاً. هذا الواقع يجعل من السؤال التالي سؤالاً بالغ الأهمية: "ماذا تريد؟ وما هي رغبات قلبك؟"

ولكن هذين الرجلين طرحا سؤالاً عملياً للغاية. كان هذا السؤال، "يا معلم، أين تمكث؟" كان السؤال يقول بالحقيقة، "أين تعيش أيها المعلم؟ أقصداً، عندما تكون في معتزك الحياة، هل تعمل مبادئك هناك؟ لطالما اعتقدت أن كل راعي كنيسة ينبغي أن تكون هذه الكلمات منقوشة على جدران مكتبه: "أيها الراعي، أين تمكث؟" فأهم عظمة نلقيها في الحياة هي الحياة التي نحيها في هذا العالم يومياً.

هذا السؤال الذي طرحه يسوع على هذين التلميذين، هو سؤال نحتاج أن نركز عليه، بينما نصل إلى كلمة الله وتصل كلمة الله إلينا: ماذا تريد؟ كان هذا سؤالاً إستفزازياً عميقاً. الأجوبة الصحيحة على هذا السؤال، ستؤثر بطريقة ديناميكية حيوية على نوعية الحياة التي نعيشها في إتباعنا لمخلصنا وربنا يسوع المسيح.

لقد كان هؤلاء الرجال عمليين للغاية. كانوا رجال أعمال. وكانوا مهتمين بالتطبيقات العملية لتعليم يسوع. كانوا يقولون ليسوع عندما إتقوا به وسألوه سؤالهم، "أنظر يا معلم، نحن لا نرغب بتعلم لاهوت على اللوح. ولا نريد شيئاً بيدو جميلاً على صفحات كتاب لاهوتي". بل نريد أن نعلم، أين تعيش أنت هذا التعليم؟ ونريد أن نعلم ما إذا كان هذا التعليم يعمل حيث نعيش حياتنا اليومية؟"

ولقد كان يسوع عملياً كما كانوا هم أيضاً، لأنه مثل أي معلم صالح آخر، أجاب على سؤالهم بدعوتهم لهم في العدد ٣٩ قائلاً: "تعالوا وانظروا." ثم نقرأ بعض الكلمات الجميلة: "فأتيا ونظراً أين كان يمكث ومكثنا عنده ذلك اليوم." كما قلت في المقدمة، تتابع القصة لتخبرنا أن هؤلاء التلاميذ جميعاً عاشوا من أجل يسوع. بالواقع، بحسب كلمة الله المقدسة وبحسب التقليد الكنسي، كل واحد من تلاميذ يسوع مات من أجله، بسبب ما رأوه عندما إلتزموا بأن ينظروا أين كان يمكث.

وكما أشرت سابقاً، لا يُخبرنا يوحنا بأنه علينا أن نُؤمن فحسب، بل ويشرح لنا ماذا يعني أن نُؤمن. لدينا مثال عظيم على هذا هنا. فالإيمان هو أن نلتزم بأن نأتي وننظر. أن نأتي ونمشي مع يسوع، لنسأله أن يُرينا كيف نعيش، وأن نطلب منه أن يمنحنا نعمة العيش بهذه الطريقة.

هل سبق لك وفعلت هذا؟ هل سبق لك وأتيت إلى المسيح المقام الحي وقلت له، "أريدك أن تكون ربي وأريد أن أتبعك. أريد أن أقبل منك نعمة إتباعك. أريد أن أتي وأن أنظر كيف أن كل الحق الذي أتيت به إلى هذا العالم، والنعمة لتطبيقه، كيف يعمل هذا في واقع الحياة حيث أحياء كل يوم. أريد أن أتأكد من كون هذا سينجح حقاً."

علينا أن نسأل وأن نجد الأجوبة على هذين السؤالين عبر إنجيل يوحنا: من هو يسوع، وما هي الحياة؟ هذه هي الحياة: الحياة هي تلك النوعية من العيش التي تنتج عن إتخاذ الناس الإلتزام بالإعتراف بحقيقة كون يسوع حمل الله، ومن ثم أن نأتي ونلتزم بإتباعه، لكي يُظهر لنا في أوضاع الحياة الواقعية مدى حقيقة أن النعمة والحق قد صارا في يسوع المسيح.

أَشَجَّعَكَ أَنْ تُتَابِعَ مَعَنَا هَذِهِ الدَّرَاسَةَ لِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا. وَبَيْنَمَا نَتَحَوَّلُ عَبْرَ هَذَا الْإِنْجِيلِ الرَّابِعِ، إِصْحَاحاً بَعْدَ الْآخِرِ، وَعَدِداً بَعْدَ الْآخِرِ، سَوْفَ نَكْتَشِفُ مَنْ هُوَ يَسُوعُ، مَا هُوَ الْإِيمَانُ، وَمَا هِيَ الْحَيَاةُ.

الفصل الخامس

"الولادة الجديدة: ماذا، لماذا، وكيف؟"

"وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل. وكانت أم يسوع هناك. ودُعِيَ أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس. ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر. قال لها يسوع مالي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد. قالت أمه للخدّام مهما قال لكم فافعلوه. وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة. قال لهم يسوع إملأوا الأجران ماءً. فملأوها إلى فوق. ثم قال لهم استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ. فقدموا. فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا ولم يكن يعلم من أين هي. لكن الخدّام الذين كانوا قد استقوا الخمر علموا. دعا رئيس المتكأ العريس. وقال له. كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكرُوا فحينئذٍ الدون. أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن. هذه بداية الآيات التي فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه."

أخبرنا يوحنا أن هدفه المعلن من كتابته هذا الإنجيل الرابع، هو أن يُخبرنا عن عدّة آيات عملها يسوع، وبراهين عجائبية كثيرة أعطانا إياها، لأنه آمن أنه إذا جمع هكذا سجلّ بالآيات والمعجزات، وإذا تفحصنا نحن هذا السجلّ، فهذا ينبغي أن يُقنعنا بأن يسوع هو المسيح، ابن الله. يُريدنا يوحنا أن نُؤمن بهذا، لأنه بحسب يوحنا، بإيماننا بمسيحية وبنوّة يسوع، ننال الحياة الأبدية. من المثير للإهتمام أنه، بعد أن أخبرنا بما سيخبرنا به، وبعد أن عبّر عن قصده من كتابة إنجيله، عندما بدأ يوحنا بإخبارنا بهذه الآيات، أوّل آية أخبرنا عنها يوحنا كانت عن ذهاب يسوع إلى حفل عرس، وأنه عندما فرغ منهم الخمر، حوّل يسوع الماء خمرًا.

في كلمة الله، الخمرُ هو رمزُ الفرح والسعادة. أنا مُقْتَنِعٌ أَنَّهُ بِالإِضَافَةِ إِلَى كَوْنِ هَذِهِ الحَادِثَةِ مُعْجِزَةً بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكنها أيضاً مجازٌ جميل. وكما أشرتُ سابقاً، عندما أقولُ أن هذه القِصَّةَ هي مجازٌ، أنا لا أقصدُ أنها ليست قصةً حقيقيَّةً. فالمجازُ هو قِصَّةٌ يَتَّخِذُ فِيهَا الأشخاصُ، والأماكنُ والأشياءُ معنىً أعمقَ، له دلالةٌ أخلاقيةٌ أو رُوحيةٌ.

هذه القِصَّةُ هي مجازٌ ينطبقُ على هدفِ هذا الإنجيل. أخبرنا يوحنا أَنَّهُ كَانَ سيُخبرنا أَنَّهُ عندما يتجاوزُ النَّاسُ بِطَرِيقَةٍ صحيحةٍ مع يسوع، كانوا سيولدونَ من فوق، أو سيولدونَ من الروح. هذه المعجزةُ الجميلة هي صورةٌ مجازيةٌ عن الولادةِ من الله. هذه القِصَّةُ عن مُعْجِزَةِ عَظِيمَةِ تُقدِّمُ لنا مجازاً عن التَّجديدِ.

الخطوةُ الأولى في الولادةِ الجديدة، مُصَوَّرَةٌ في كَلِمَاتِ مَرِيَمَ عندما أتت إلى يسوعَ قائلةً، "ليسَ عندهم خمرٌ." مجازياً، وكان المقصودُ هو القول: ليسَ عندهم سعادةٌ، أو ليسَ عندهم فرحٌ. إنَّ آلامَ شعبِ الله في تلكَ المرحلة تُفسَّرُ لماذا لم يكنْ لديهم فرحٌ. فلقد كانت أرضهم مُحتلَّةً من رُوما، وكانوا تحتَ قبضةِ الإحتلالِ الرومانيِّ الحديديةِ.

لربَّما تقولُ لنا هذه المعجزةُ اليوم أنَّ الخطوةَ الأولى في الولادةِ الجديدة، هي الإعتِرافُ أَنَّا غيرُ مَوْلُودِينَ من فوق. إقرأوا الوصفَ الكِتَابِيَّ لِشَخْصٍ مَوْلُودٍ من جديدٍ: "إنَّ كَانَ أَحَدٌ فِي المَسِيحِ، فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ العَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَذَا الكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً. وَلَكِنَّ الكُلَّ مِنَ اللهِ (أَوْ: هَذَا شَيْءٌ يَعْمَلُهُ اللهُ). " (٢ كورنثوس ٥ : ١٧)

عندما تتأملُ بِثَمَارِ الرُّوحِ، أو بالحياةِ الفَيَاضَةِ التي يَنْبَغِي أن يَحْتَبِرَهَا شَخْصٌ وُلِدَ من جَدِيدٍ، هل تقولُ، "هذا لا يتكلمُ عني؟" (غلاطية ٥ : ٢٢، ٢٣؛ يوحنا ١٠ : ١٠). مجازياً، وكأَنَّكَ تقولُ، "ليسَ لَدَيَّ خَمْرٌ." بِحَسَبِ هَذَا المِجَازِ، هَذِهِ هِيَ الخُطْوَةُ الأُولَى التي يَنْبَغِي عَلَيْكَ إِتِّخَاذُهَا إِذَا أَرَدْتَ أن تُوَلِّدَ من جَدِيدٍ. إعتَرِفْ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْكَ خَمْرٌ، وَلَا فَرَحٌ حَقِيقِيٌّ، أو بِكَلِمَاتٍ أُخْرَى أَنَّكَ لَمْ تُوَلِّدَ من جَدِيدٍ.

ثُمَّ نَجِدُ أَنَّ الخُطْوَةَ الثَّانِيَةَ قَدْ تَكُونُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ المِجَازِيَّةِ عَنِ الوِلَادَةِ الجَدِيدَةِ، حَيْثُ قَالَ يَسُوعُ لِلخُدَّامِ أن يَمَلُّوا بِالمَاءِ تِلْكَ الأَجْرَانِ التي كَانَ يَتَسَعُّ كُلُّ مَنُهَا لِثَمَانِينَ لَيْتِراً مِنَ المَاءِ. ففِي كَلِمَةِ اللهِ، يَرْمِزُ المَاءُ إِلَى كَلِمَةِ اللهِ بِحَدِّ ذَاتِهَا (أفسس ٥ : ٢٦).

كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْوَاسِطَةُ الَّتِي سَيَسْتَخْدِمُهَا اللَّهُ عِنْدَمَا يَعْمَلُ هَذِهِ الْمَعْجَزَةَ فِي حَيَاتِنَا. مَثَلًا، كَتَبَ الرَّسُولُ بُولُسُ يَقُولُ: "الْإِيمَانُ بِالْخَبْرِ، وَالْخَبْرُ بِكَلِمَةِ اللَّهِ." (رُومِيَّةُ ١٠ : ١٧) كَتَبَ بَطْرُسُ يَقُولُ أَنَّ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ هِيَ مِثْلُ الْوِلَادَةِ الْجَسَدِيَّةِ. يَقُولُ بَطْرُسُ أَنَّكَ عِنْدَمَا تُوَلِّدُ مِنْ فَوْقَ، أَوْ تُوَلِّدُ رُوحِيًّا، تَمَامًا كَمَا أَنَّهُ فِي الْوِلَادَةِ الْجَسَدِيَّةِ هُنَاكَ بُوَيْضَةٌ وَبِذْرَةٌ، وَهَكَذَا يَحْدُثُ التَّلْقِيحُ وَالْحَمْلُ بِحَيَاةٍ جَنِينِيَّةٍ، وَمِنْ ثَمَّ يَأْتِي مَخَاضُ الْوِلَادَةِ، ثُمَّ النَّمُوُّ وَالتَّطَوُّرُ. يَقُولُ بَطْرُسُ فِي رِسَالَتِهِ الْأُولَى الْإِصْحَاحِ الْأَوَّلِ، أَنَّهُ فِي الْوِلَادَةِ الرُّوحِيَّةِ، أَوْ الْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ، أَيِ الْوِلَادَةِ مِنْ اللَّهِ أَوْ مِنَ الرُّوحِ، الْبِذْرَةُ هِيَ كَلِمَةُ اللَّهِ (١ بَطْرُسُ ١ : ٢٣). أَنَا مُقْتَنِعٌ أَنَّ الرَّمْزَ الْمَجَازِيَّ لِمَاءِ الْأَجْرَانِ بِالْمَاءِ، يُصَوِّرُ لَنَا الْخُطْوَةَ الثَّانِيَةَ فِي عَمَلِيَّةِ الْوِلَادَةِ مِنْ جَدِيدٍ: فَسُرْعَانَ مَا تَعْتَرِفُ بِكَوْنِكَ غَيْرَ مَوْلُودٍ ثَانِيَةً، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُوَلِّدَ مِنْ فَوْقَ، إِمْلَأْ إِنْءَاكَ، وَعَقْلَكَ وَحَيَاتَكَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ.

لِهَذَا وَضَعَ اللَّهُ عَلَيَّ قَلْبِي هَدَفَ كِتَابِيَّةِ مَوَادِّ "مَدْرَسَةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الْمَصْغَرَةِ." لَقَدْ إِكْتَشَفْتُ أَنَّ عِنْدَمَا يَصِلُ النَّاسُ إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ، وَعِنْدَمَا تَصِلُ كَلِمَةُ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، وَعِنْدَمَا يَمْلَأُونَ أَنْبِيَتَهُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، غَالِبًا مَا يُوَلِّدُونَ مِنْ جَدِيدٍ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَأْتِي بِسَمَاعِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ الْمُوَحَّى بِهَا هِيَ الْبِذْرَةُ الَّتِي تُحْدِثُ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ. لِهَذَا، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُوَلِّدَ مِنْ جَدِيدٍ، إِمْلَأْ إِنْءَاكَ، إِمْلَأْ عَقْلَكَ، إِمْلَأْ قَلْبَكَ، وَإِمْلَأْ حَيَاتَكَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ. هَذِهِ هِيَ الْخُطْوَةُ الثَّانِيَةَ فِي عَمَلِيَّةِ الْوِلَادَةِ الْجَدِيدِ، الَّتِي تُعَلِّمُنَا بِهَا هَذِهِ الْقِصَّةَ مَجَازِيًّا.

الْخُطْوَةُ الثَّلَاثَةُ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْمَجَازِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ، نَجِدُهَا مُصَوَّرَةً عِنْدَمَا قَالَتْ مَرْيَمُ لِلْخُدَّامِ، "مَهْمَا قَالَ لَكُمْ إِفْعَلُوهُ." تَطْبِيقِيًّا، الْخُطْوَةُ الثَّلَاثِيَّةُ فِي عَمَلِيَّةِ الْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ هِيَ: عِنْدَمَا تَمَلَأُ إِنْءَاكَ بِمَاءِ الْكَلِمَةِ، "مَهْمَا يَقُولُهُ لَكَ إِفْعَلْهُ!"

عِنْدَمَا تَقْرَأُ كَلِمَةَ اللَّهِ، سَوْفَ تَكْتَشِفُ أَنَّ الْمَبْدَأَ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ أَنْ تُصْبِحَ حَيَّةً، لَيْسَ التَّأَلُّفَ مَعَ الْكَلِمَةِ. بَلِ الْعَامِلُ الْحَيَوِيُّ الَّذِي يَجْعَلُ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ قُوَّةً مُعْطِيَةً لِلْحَيَاةِ عِنْدَمَا نَقْرَأُهَا، هُوَ مَا تَعْمَلُهُ حَيَالًا مَا تَعْلَمُهُ. مُعْظَمُنَا لَا يَحْتَاجُونَ أَنْ يَسْمَعُوا الْمَزِيدَ؛ بَلِ نَحْتَاجُ أَنْ نَسْمَعَ بِشَكْلِ أَفْضَلٍ. بِحَسَبِ مَثَلِ الزَّرَّاعِ، عِنْدَمَا نُطِيعُ كَلِمَةَ اللَّهِ الَّتِي زَرَعَتْ فِي حَيَاتِنَا، سَوْفَ نَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنَ الثَّمَرِ (لُوقَا ٨ : ١٥).

لذلك، بينما تملأ ذهنك وقلبك بكلمة الله، إذا سمعت صوت الله يقول لك أن تعمل شيئاً، إعمله باستمرار. ولربما بينما تملأ إناك بكلمة الله، فإن الروح القدس سيبيكك على أمر معين تعمله، وسوف يقول، "كف عن عمل هذا الأمر." فعندما يحدث مثل هذا الأمر، أطعه باستمرار.

الخطوة الرابعة في هذه الصورة المجازية للولادة الجديدة هي: عندما تكون قد إنتهيت من الخطوة الأولى، الثانية والثالثة، خذ الماء الذي سبق وتم تحويله خمراً، وقدمه. وتاماً كما حدث في معجزة إطعام الخمسة آلاف، عليك أن تطرح السؤال، "متى حدثت هذه المعجزة؟" وبالتحديد، متى أصبح الماء خمراً؟" أنا مقتنع أن هذه المعجزة حدثت عندما كان لدى الخدم الإيمان الكافي ليقدّموا الماء الذي أحرهم يسوع بأنه أصبح خمراً.

رسالة هذا الجزء من هذه الصورة المجازية هي: عندما يحول المسيح ماءك خمراً، شارك هذه المعجزة العظيمة مع الآخرين. فإختبارك للولادة الجديد ينبغي أن يعمل فرقاً في علاقاتك مع الآخرين. فإن كنت بالفعل قد وُلدت من جديد، هل ستعلم زوجتك بذلك؟ أو هل سيعلم زوجك بذلك؟ وهل سيعلم أهلك بذلك؟ وهل سيكون هذا واضحاً لأولادك؟ وهل سيعلم بذلك الناس الذين تعمل معهم.

بالطبع سيعلمون، لأنّ إختبارك للولادة الجديدة لن يُغيّرَكَ أنتَ فحسب، بل وسيغيّر علاقاتك أيضاً بعمق. بينما أصبح الماء خمراً عندما كان يتم توزيعه، هكذا أيضاً عندما نشارك هذه الحياة الجديدة في علاقاتنا يتكامل إختبارنا لهذه المعجزة. إنّ معجزة صيرورة الماء خمراً هي مجازٌ لما أخبرنا عنه يوحنا المعمدان بأنه سيحدث، والذي كان أن الناس كانوا يولدون روحياً عندما يتجاوبون مع يسوع ومع كلمته.

إنّ قصة هذه المعجزة الجميلة يُمكن أيضاً أن تُشير إلى صورة مجازية عن التّهضة. فبعد أن تختبر الولادة الثانية، سوف تأتي أوقات ستشعر فيها أحياناً أنّك بحاجة لتولد ولادة ثانية من جديد. ولكن الحقيقة هي أنّك لا تحتاج إلى إختبار آخر لولادة جديدة. بل كما قال يسوع لبطرس في عظة العلية، عندما تعتسل بالتجديد والولادة الثانية، ثمّ تتسخ قدمك من غبار هذا العالم، لن تحتاج عندها للإستحمام ثانية. بل كل ما تحتاجه هو فقط أن تغسل رجلك. " (يوحنا ١٣ : ١٠).

في هذه المعجزة العظيمة التي حققها يسوع، نجدُ مُعادلةً يُمكنُ إستخدامها عندما نجدُ أنفسنا بحاجةً لنهضة: الخطوة الأولى هي أن تعترف أنك ليس لديك خمرٌ (مزمور ٥١: ١٢). أي اعترف ببساطة لله قائلاً: "لم يعد لدي ذلك الفرح الذي كان ينبغي أن يكون لدي". لقد فقدتُ بهجة خلاصي. ليس لدي خمرٌ. "الخطوة الثانية هي أن تملأ إناءك بكلمة الله. اذهب في خلوة روحية إلى مكانٍ منعزل. إملأ قلبك وذهنك بكلمة الله.

الخطوة الثالثة، بينما يحدثُ هذا، أصغِ إلى صوتِ الله، لأنه سوف يُركزُ على أمرٍ مُعينٍ ويقولُ لك، "لا تفعل ذلك". مهما قال لك، إفعله. وهكذا ستختبرُ تجديدًا روحيًا. ثم الخطوة الرابعة: أطلب من الله أن يستخدمَ هضتك الشخصية، ليَجعلَ منك بركةً لكلِّ الناس الذين تلتقيهم في حياتك. عندما تكونُ قد إتخذت الخطوات الأربع الموضحة مجازيًا في هذه المعجزة، ستكتشفُ أن حياتك في المسيح قد تجددت.

التأثير المباشر لهذه المعجزة كان أنه وللمرة الأولى، آمن التلاميذ بيسوع. فعندما سألوهُ أين يمكث، ودعاهما لياثوا وينظروا أين يمكث، كانت تلك بداية رحلة إيمانهم الطويلة. ولكن يوحنا يُخبرنا بوضوح أن التلاميذ آمنوا للمرة الأولى عندما رأوا يسوع يُحوّل الماء إلى خمر. بحسب هذا الإنجيل، اختبر التلاميذ إعلانًا مُستمرًا لما هو الإيمان، بينما كانوا يتبعون يسوع. نكتشفُ إستعارةً مجازيةً أخرى في إنجيل يوحنا الإصحاح الثاني. ففي نهاية هذا الإصحاح، نقرأ أنه بينما كان يسوع في أورشليم، آمن به الكثيرون عندما رأوا الآيات التي كان يُحققها. "لكن يسوع لم يَأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرفُ الجميع. ولأنه لم يكنُ محتاجًا أن يشهدَ أحدٌ عن الإنسان لأنه عِلِمَ ما كان في الإنسان." (يوحنا ٢: ٢٣ - ٢٥).

هذا جوابٌ آخر مُثيرٌ للإهتمام على السؤال، "ما هو الإيمان؟" هذه الأعدادُ تُخبرنا عمّا هو الإيمان، وذلك بإخبارنا عمّا ليس هو الإيمان. كُلُّ من يعترفُ بالإيمان ليس بالضرورة مؤمنًا حقيقيًا. لقد آمن هؤلاء لأنهم رأوا معجزات يسوع. ومن لا يؤمن عندما يرى عجائب؟ ولكن هل التلميذ الحقيقي لیسوع هو الذي يؤمن عندما يرى معجزة؟ بحسب هذه الإستعارة السليبية، الإيمان هو طريقٌ يأتجهين. الإيمان هو شخصٌ مؤمنٌ يلتزمُ بالمسيح ويلتزمُ المسيح به. "هلموا ورائي فأجعلكم." (متى ٤: ١٩) بهذه

الطريقة يعمل الإيمان بالمسيح. أنت تلتزم بإتباعه، وهو يلتزم بأن يجعل من حياتك شيئاً مهماً نافعاً. يبدو أنه في هذه الحال، آمن هؤلاء الناس، ولكن إيمانهم كان مجرد إقرار عقلائي وليس التزاماً قلبياً. ولكن يسوع لم يأتهم على نفسه، لأنهم هم لم يلتزموا به ولم يأتونوه على أنفسهم (يوحنا ٢٠: ٢٩؛ رومية ١٠: ٩)

في هذا الإصحاح، سجل يوحنا أيضاً حدث تطهير الهيكل. ونجد تطهير المسيح للهيكل مسجلاً أيضاً في الأناجيل المتشابهة النظرة. الأناجيل الأخرى تضع تطهير الهيكل في بداية خدمة يسوع. أما إنجيل يوحنا فيضعه في بداية خدمة يسوع العلنية التي استمرت ثلاث سنوات ونصف. الطريقة الوحيدة لتوفيق هذا التناقض الظاهر هي بالقول أن تطهير الهيكل حدث مرتين. ملاحظة أخرى هي أن يوحنا لم يكن مهماً بالدقة التاريخية كما كان لوقا. بل كان يحاول أن يقنعنا بحجته الأساسية عن يسوع، ألا وهي أنه كان المسيح، ابن الله.

المغزى من تطهير الهيكل كما هو مذكور في إنجيل يوحنا، هو أن هذا الحدث تكلم عن أهم علامة يُخبرنا بها يوحنا، ثبهن أن يسوع هو المسيح. عندما قال يسوع أنه كان الله وكان المسيا، كان يقول له رجال الدين باستمرار، "آية آية تصنع لثربنا هذا؟" وذات مرة عندما طلبوا آية من يسوع، أجابهم يسوع، "جيل شرير وفاسق، يطلب آية، ولا تُعطى له آية إلا هذه: أنقضوا هذا الهيكل (قاصداً جسده)، وفي ثلاثة أيام أُقيمهُ." متى ١٢: ٣٩ - ٤١).

يُخبرنا يوحنا أننا عندما قام يسوع من الموت، تذكر تلاميذه أعداد العهد القديم التي تنبأت عن قيامته، مثل المزمور السادس عشر، الذي وعظ منه بطرس عظته يوم الخمسين. ولقد تذكروا أيضاً ذلك التصريح الذي سمعوا يسوع يُقدمه (يوحنا ٢: ١٩ - ٢٢). في إطار تطهير الهيكل، أعطانا يسوع علامة هامة، التي هي برأي الرسول يوحنا، ينبغي أن نُقنعنا أن يسوع هو المسيح، ابن الله.

بالإختصار، من هو يسوع في الإصحاح الثاني من إنجيل يوحنا؟ في الإصحاح الثاني من هذا الإنجيل، يسوع هو ذلك الشخص الذي يستطيع أن يُحوّل الماء خمرًا. بإمكانك أن تأتي إلى يسوع بمشاكلك، ويسوع يستطيع أن يحمل مشاكلك، التي هي مثل

المياه، ويُحوّلها خمرًا. بإمكانك أن تأتي إلى يسوع بكل ما لديك من ضعفات. فعندما تدعو يسوع إلى حياتك، سوف يُحوّل يسوع ماء ضعفاتك إلى خمر الفرح الحقيقي.

توجد عدة تطبيقات لهذه المعجزة. فبإمكانكم أيضاً تطبيق هذه القصة على وعظ وتعليم كلمة الله. أحد أساتذة الكتاب المقدس المفضلين عندي، Dr. J. Vernon McGee، شارك معنا كطلاب لاهوت يافعين في العام ١٩٥٢، أنه بينما كان يعظ لحوالي أربعة آلاف شخص كل يوم أحد، يقول: "أحياناً كانت لدي رسالة كنت أؤمن أن الله وضعها على فمي. ولكن بصراحة، أحياناً كانت هذه الرسالة ضعيفة جداً، وكأنها أشبه بالماء. ولكن الله كان يقول لي: أعط هذه الرسالة، وأنا سأعطيها لقلوب الناس. وفي مكان ما بين المنبر والمقعد، كان الله يلمس العظة، وكانت هذه العظة الأشبه بالماء تتحوّل إلى خمر. لست أدري كيف يعمل الله هذا الأمر، ولكنه يعملهُ."

وكان الدكتور ماغي يقول لنا كوَعَاظٍ يافعين طموحين، "عندما يُعطيكَ اللهُ رسالةً أو عظةً، ألقها أمام الناس. قد تظن أنها مجرد ماء، ولكن ألق هذه العظة، وأوصلها إلى قلوب الناس. وبينما تُوزع هذه الماء، ففي مكان ما بين المنبر والمقعد، سوف يلمس الله هذه الرسالة وسيحوّلها خمرًا." منذ العام ١٩٥٢، وجدت أن هذا الأمر صحيح. في الإصحاح الثاني من إنجيل يوحنا، يسوع هو الشخص الذي بإمكانه أن يُحوّل المياه بمُختلف أنواعها إلى خمر مُفرحة.

ما هو الإيمان في الإصحاح الثاني؟ الإيمان هو إتباع هذه الخطوات للولادة الجديدة أو للنهضة: كن صادقاً مع الله وإعترف أنه ليس لديك خمر. اعترف أنك لم تولد ثانية، أو أنك لم تختبر فرح الروح، وأنت تحتاج إلى نهضة. ثم، إملأ إناءك بكلمة الله. إقض وقتاً كافياً في قراءة كلمة الله. ومهما قال لك الله خلال قراءتك لكلمة الله، فذلك إفعله. ثم شارك نتائج نهضتك الروحية الشخصية مع أشخاص آخرين. شارك كلمة الله وفرحك الذي اكتشفته من جديد في إطار علاقاتك مع كل الناس الذين تلتقيهم في حياتك، بحسب تدبير العناية الإلهية.

وما هي الحياة في الإصحاح الثاني من إنجيل يوحنا؟ الحياة هي أن تولد من جديد. يُخبرنا يوحنا بعدة طرق جميلة، في الكثير من هذه الإصحاحات، أن الحياة هي الولادة

الثانية. في هذا الإصحاح، الحياة هي إختيارُ تحويلِ مائِكَ إلى خَمَر. الحياة هي كُلُّ ما يَنْتُجُ عن دُخُولِ عَلاقَةِ إيمانٍ معِ يسوع المسيح، حيثُ تَكُونُ قد قُمتَ بِإِتِّخاِذِ إلتزامٍ بالمسيح، وحيثُ يَكُونُ هُوَ أيضاً قدِ إلتَزَمَ بِكَ. ومعرفةُ أنَّ المسيحَ قد أعطاك كُلَّ ما هُوَ وكُلَّ ما لديه، يَنْبَغِي أن تَمْنَحَكَ هذه المعرفةُ نوعِيَّةَ حياةٍ مُمَيَّزَةٍ. فالحياة هي أيضاً أن يَتَطَهَّرَ هيكلكَ الشَّخْصِيَّ، عندما تَتَطَلَّبُ الخَطِيئَةَ مثلَ هذا التَّطْهِيرِ.

الفصلُ السَّادِسُ

"يَنْبَغِي أن تُولَدُوا من فَوْق"

الإصحاحُ الثالثُ هُوَ الأَكْثَرُ شَعْبِيَّةً في إنجيلِ يوحنا. إِنَّهُ الإصحاحُ الذي يُسَجَّلُ لِقَاءَ يسوع معِ مُعَلِّمِ النَّامُوسِ لِلسُّمَّةِ نيقوديموس. بينما ندرُسُ هذا الإصحاحَ معاً، إقرأوه في إطارِ كونِ يوحنا يُخبرنا بما سَيَقُولُهُ لنا. ففي مُقدِّمَتِهِ، كتبَ يوحنا ما معناه: "هذا ما سأخبرُكم به. عندما آمَنَ النَّاسُ بِيسوع، كانوا يُولَدُونَ ثَانِيَةً." في الإصحاحِ الثَّانِي، مجازياً، أخبرنا يوحنا كيفَ صَوَّرَ يسوعُ الوِلادَةَ الثَّانِيَةَ مجازياً، عندما أُنْجِزَ مُعْجِزَتُهُ الأُولَى.

في الإصحاحاتِ الثالثِ والرَّابِعِ والخامِسِ، سَيُعطينا يوحنا أمثلةً عن أشخاصٍ وُلِدُوا ثَانِيَةً. الأَوَّلُ هُوَ مُعَلِّمُ النَّامُوسِ نيقوديموس. يَقُولُ النَّصُّ في اللُّغَةِ الأَصْلِيَّةِ، أَنَّهُ كانَ رَجُلًا مشهوراً ومُعلِّماً مُحترماً في أُورَشَلِيمَ في ذلكَ الزَّمانِ (٣: ١٠). يُخبرنا التَّقْلِيدُ أن نيقوديموس كانَ أحيي يوسيفوس، المُؤرِّخَ اليَهُودِيَّ الشَّهِيرِ.

رُغمَ أَنَّا لا نَقْرَأُ في الإصحاحِ الثَّالِثِ أن نيقوديموس كانَ مَوْلُوداً ثَانِيَةً، وَلَكِنَّا سنقرأُ عَنْهُ ثَانِيَةً في إنجيلِ يوحنا. تقريباً في مُتَاصَفِ إنجيلِ يوحنا، نقرأُ أن نيقوديموس دافعَ عن يسوع أمامَ السَّنْهَدِريِّمِ، وحوالي نِهايةِ إنجيلِ يوحنا، نقرأُ أن نيقوديموس شاركَ بِشِجَاعَةٍ بِدَفْنِ يسوع (٧: ٥٠؛ و١٩: ٣٩). هُنَا يتدخلُ التَّقْلِيدُ لِئُخْبِرَنَا أن نيقوديموس كانَ قد إختَبَرَ التَّجْدِيدَ والوِلادَةَ الثَّانِيَةَ في هذه المرحلة، ولقد تَحَمَّلَ بِفَرَحٍ خَسارَةَ كُلِّ ما لديه من أَجْلِ المسيحِ.

جاءَ نيقوديموس إلى يسوع ليلاً، وفتحَ معه حواراً بِشِكلٍ مُثيرٍ لِلعَجَبِ، داعِياً إِيَّاهُ: "أيتها المُعَلِّمُ، أو الرَّأْيِي." وهذا أمرٌ جديرٌ بِالمُلاحَظَةِ. عَلَيْنَا أن نَتَذَكَّرَ أَنَّهُ بالمَعْنَى الإِنْسَانِيَّةِ،

كَانَ يَسُوعُ نَجَارًا وَلَكِنْ ذَا سُمْعَةٍ لَيْسَتْ رَفِيعَةً، لَكُونِهِ مِنَ النَّاصِرَةِ، وَرُغْمَ ذَلِكَ نَجَدُ هُنَا مُعَلِّمًا عَظِيمًا لِلنَّامُوسِ فِي إِسْرَائِيلَ، يَدْعُو يَسُوعَ "رَأْيِي أَوْ مُعَلِّمٌ" وَيَقُولُ لَهُ، "نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّكَ أَتَيْكَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّمًا، لِأَنَّ لَيْسَ أَحَدًا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْ تَعْمَلُ، إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ." مِنَ الْمُثِيرِ لِلإِهْتِمَامِ أَنَّ نِيقُودِيمُوسَ هُوَ الَّذِي أَتَى إِلَى يَسُوعَ. نَحْنُ نُشَدِّدُ كَثِيرًا عَلَى كُونِهِ جَاءَ إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا. وَلَكِنْ لَرَبِّمَا جَاءَ لَيْلًا لِأَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ بِجَدِّ طَوَالَ النَّهَارِ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا أَنَّهُ جَاءَ لِيَرَى يَسُوعَ.

التفسير المهمُّ لِحجَّةِ نِيقُودِيمُوسَ لِيَرَى يَسُوعَ، هِيَ أَنَّهُ كَانَ مُعْجَبًا بِالْأُمُورِ الَّتِي رَأَى يَسُوعَ يَعْمَلُهَا. وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ مُهْتَمًّا أَنْ يَعْرِفَ مَاذَا كَانَ لَدَى يَسُوعَ لِيَقُولَهُ. نَحْنُ نَخْدَعُ أَنْفُسَنَا إِذَا ظَنَّنَّا أَنَّ الْأَمْرَ مُخْتَلِفٌ الْيَوْمَ. فَالنَّاسُ يَرِغِبُونَ بِأَنْ يَسْمَعُوا مَا لَدِينَا لِنَقُولَهُ، فَقَطْ عِنْدَمَا يُعْجَبُونَ بِمَا نَعْمَلُهُ.

تَذَكَّرُوا أَنَّ يَسُوعَ يَضَعُ تَشْدِيدًا كَبِيرًا عَلَى الْأَدَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا يَضَعُهُ عَلَى الْإِعْتِرَافِ. هُنَا بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَرَى ثِمَارَ هَذِهِ الْفَلَسَفَةِ. قَالَ أَحَدُهُمْ، "الَّذِي تُؤْمِنُ بِهِ بِالْفِعْلِ، فَذَلِكَ نَعْمَلُهُ. وَكُلُّ مَا عَدَا ذَلِكَ هُوَ مُجَرَّدُ كَلَامٍ دِينِيَّ." فَقَطْ بِسَبَبِ كَوْنِ مُعَلِّمِ النَّامُوسِ الشَّهِيرِ قَدْ أُعْجِبَ بِمَا رَأَى يَسُوعَ يَعْمَلُهُ، فَقَطْ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ يَسُوعَ الدِّينِيِّ. فَقَطْ عِنْدَمَا يُعْجَبُ النَّاسُ بِمَا يَرَوْنَ نَعْمَلُ، عِنْدَهَا سِيَهْتُمُونَ بِكَلَامِنَا الدِّينِيِّ.

بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ بَدَأَ هَذَا الْحَوَارِ الْمُرَبِّكَ. عِنْدَمَا قَدَّمَ نِيقُودِيمُوسَ تَصْرِيحًا صَادِقًا عَلَى هُوِيَّةِ يَسُوعَ، عِنْدَهَا فُتِحَ الْبَابُ أَمَامَ يَسُوعَ لِيُشَارِكَ بِحَدِيثِهِ الدِّينِيِّ: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَلِّدُ مِنْ فَوْقَ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُؤَلِّدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. لَا تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ يَنْبَغِي أَنْ تُؤَلِّدُوا مِنْ فَوْقَ."

هَذِهِ الْكَلِمَاتُ تَجْعَلُ مِنَ الْإِصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا "إِصْحَاحَ الْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ." مَوْلُودٌ مِنْ جَدِيدٍ! مَاذَا يَعْنِي هَذَا؟ بَيْنَمَا نَقْتَرِبُ مِنْ مَوْضُوعِ الْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ، أَوَّلًا عَلَيْنَا أَنْ نَطْرَحَ السُّؤَالَ: "مَا هُوَ الْقَصْدُ مِنَ الْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ؟" لَاحِظُوا أَنَّ يَسُوعَ لَا يُعْلَمُ أَنَّ الْوِلَادَةَ الْجَدِيدَةَ هِيَ غَايَةٌ بِحَدِّ ذَاتِهَا. فَالْوِلَادَةُ الْجَدِيدَةُ هِيَ وَسِيلَةٌ تُؤَدِّي إِلَى غَايَةٍ،

بِحَسَبِ يَسُوعَ. فَيَسُوعُ لَا يَقُولُ فَقَطْ، "يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْقِ." بَلْ وَيَقُولُ أَيْضًا لَنَا
لِمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نُوَلَدَ ثَانِيَةً.

يَنْبَغِي أَنْ نُوَلَدَ ثَانِيَةً، لِأَنَّنا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ وَلَا أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ
اللَّهِ إِلَّا إِذَا وُلِدْنَا ثَانِيَةً. فَكَمَا تَرَوْنَ، الْحَقِيقَةُ الْأَسَاسِيَّةُ هُنَا هِيَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، وَلَيْسَ الْوِلَادَةُ
الْجَدِيدَةُ. فَمَلَكُوتُ اللَّهِ هُوَ الْغَايَةُ؛ أَمَّا الْوِلَادَةُ الْجَدِيدَةُ فَمَا هِيَ إِلَّا وَسِيلَةٌ تُؤَدِّي إِلَى الْغَايَةِ
الَّتِي هِيَ مَلَكُوتُ اللَّهِ.

فَبِالنَّسَبَةِ لِيَسُوعَ، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُوَلَدَ ثَانِيَةً، لِأَنَّ الْمَوْلُودَ مِنَ الْجَسَدِ هُوَ مُجَرَّدُ
جَسَدٍ. عِنْدَمَا يَسْتَخْدِمُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ كَلِمَةَ "جَسَدٍ"، فَهُوَ يَعْنِي، "الطَّبِيعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، بِدُونِ
مُسَاعَدَةِ اللَّهِ." فَوِلَادَتُنَا الْجَسَدِيَّةُ جَعَلَتْ مِنَّا مُجَرَّدَ مَخْلُوقَاتٍ جَسَدِيَّةٍ. وَبِإِمْكَانِنَا الْقَوْلَ أَنَّ
يَسُوعَ كَانَ يُعَلِّمُ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ الْوِلَادَةَ الْجَسَدِيَّةَ جَعَلَتْ مِنَّا حَيَوَانَاتٍ نَاطِقَةً. وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْنَا
أَنْ نَكُونَ خَلَائِقَ رُوحِيَّةً، فَعَلَيْنَا أَنْ نُوَلَدَ وَوِلَادَةٌ رُوحِيَّةٌ.

مَا هُوَ مَلَكُوتُ اللَّهِ؟ تَعَلَّمْنَا الْجَوَابَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ عِنْدَمَا دَرَسْنَا الْعَهْدَ الْقَدِيمَ
وَالْمَوْعِظَةَ عَلَى الْجَبَلِ (مَتَّى ٥ - ٧). مَلَكُوتُ اللَّهِ هُوَ الْمَجَالُ الَّذِي يَمْلِكُ اللَّهُ فِيهِ. وَالْحَقِيقَةُ
هِيَ بَسَاطَةُ التَّالِيَةِ: اللَّهُ مَلِكٌ، وَلَدِيهِ مَجَالٌ يَمْلِكُ عَلَيْهِ. فَإِنْ كَانَ اللَّهُ يَمْلِكُ عَلَيْكَ، فَأَنْتَ إِذَا
جِزءٌ مِنْ مَلَكُوتِهِ. وَإِنْ كُنْتَ مِنْ رَعَايَاهُ الْمُخْلِصِينَ، وَإِنْ كَانَ هُوَ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ
الْأَرْبَابِ، عِنْدَهَا تَكُونُ قَدْ رَأَيْتَ مَلَكُوتَ اللَّهِ وَتَكُونُ قَدْ دَخَلْتَهُ.

يَعْتَقِدُ الْكَثِيرُونَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ هُوَ السَّمَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَتَفْسِيرُهُمْ لِكَلِمَاتِ يَسُوعَ
فِي لِقَائِهِ مَعَ نِيقُودِيمُوسَ هُوَ، "لَنْ تَدْخُلُوا أَبَدًا السَّمَاءَ عِنْدَمَا تَمُوتُونَ إِلَّا إِذَا وُلِدْتُمْ مِنْ
جَدِيدٍ." وَلَكِنِّي مُقْتَنِعٌ أَنَّ لَيْسَ هَذَا مَا قَصَدَهُ يَسُوعُ عِنْدَمَا نَطَقَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَأْلُوفَةِ.

بَلْ كَانَ جَوْهَرُهُ مَا قَالَهُ يَسُوعُ لِنِيقُودِيمُوسَ هُوَ التَّالِي: "لَنْ تَرَ أَبَدًا حَقِيقَةَ كَوْنِ اللَّهِ
يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا، إِلَّا أَوْ حَتَّى تُوَلَدَ مِنْ جَدِيدٍ، وَلَنْ تَدْخُلَ أَبَدًا ذَلِكَ النَّوعَ مِنَ الْعِلَاقَةِ
مَعَ اللَّهِ إِلَّا أَوْ حَتَّى تُوَلَدَ مِنْ جَدِيدٍ. وَلَكِنْ، عِنْدَمَا تُوَلَدُ مِنْ جَدِيدٍ، سَوْفَ تَرَى اللَّهُ مَلِكًا
لَكَ، وَسَوْفَ تَدْخُلُ ذَلِكَ النَّوعَ مِنَ الْعِلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ - لَيْسَ عِنْدَمَا تَمُوتُ - وَلَكِنْ الْآنَ
فَوْرًا!" فَبِالنَّسَبَةِ لِيَسُوعَ، أَوَّلُ نَتِيجَةِ الْوِلَادَةِ مِنْ جَدِيدٍ هِيَ أَنْ نَعْتَرِفَ كَمَا إِعْتَرَفَ ثُومَا
قَائِلًا لِيَسُوعَ الْمَقَامَ مِنَ الْأَمْوَاتِ، "رَبِّي وَالْهِي!" (يُوحَنَّا ٢٠ : ٢٨)

لقد كَانَ الرَّسُولُ بُؤْسُ يُعَلِّمُ الْحَقِيقَةَ ذَاتَهَا عِنْدَمَا أَعْلَنَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ
أَنَّ يَسُوعَ رَبُّ إِلَّا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ (١ كُورِنْثُوسَ ١٢ : ٣). فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَرَى الْمُؤْمِنُونَ
مَلَكُوتَ اللَّهِ وَيَدْخُلُونَهُ، عِنْدَمَا يَدْعُونَ يَسُوعَ رَبًّا وَمُنْخَلِّصًا. وَنَحْنُ سَوْفَ نَرَى وَنَدْخُلُ
عِلَاقَةَ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ مَعَ يَسُوعَ، عِنْدَمَا نُؤَلِّدُ مِنْ جَدِيدٍ. أَوَّلُ نَتِيجَةِ لِمُعْجَزَةٍ كَوْنِنَا وَوَلَدِنَا
مِنْ جَدِيدٍ، سَتَكُونُ أَنَّ الْمَسِيحَ سَيَكُونُ بِالْوَاقِعِ وَالْفِعْلِ رَبَّنَا وَمَلِكِنَا.

مِنذُ عِدَّةِ سِنَوَاتٍ، أَخَذْتُ بَعْضَ شَيْوِخِ الْكَنِيسَةِ الَّتِي كُنْتُ أَرَعَاهَا إِلَى خُلُوعِ
رُوحِيَّةٍ. وَطَلَبْتُ مِنْهُمْ أَنْ يَتَأَمَّلُوا بِسُؤَالَيْنِ وَأَنْ يُجِيبُوا عَلَيْهِمَا كِتَابَةً. السُّؤَالُ الْأَوَّلُ الَّذِي
طَرَحْتُهُ كَانَ: بِنَاءً عَلَى تَعْلِيمِ يَسُوعَ فِي النَّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْإِصْحَاحِ السَّادِسِ مِنْ إِنْجِيلِ
مَتَّى، مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَوْلِيَايَاتِكُمْ؟ السُّؤَالُ الثَّانِي كَانَ: بِنَاءً عَلَى كَيْفِ تَصْرِفُونَ
وَقَتَّكُمْ، مَالَكُمْ، طَاقَتَكُمْ، وَعَوَاطِفَكُمْ، وَكُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُشَكِّلُ جَوْهَرَ حَيَاتِكُمْ، مَا هِيَ
أَوْلِيَايَاتِكُمْ حَرْفِيًّا؟

بَيْنَمَا كَانُوا يُجِيبُونَ عَلَى هَذَيْنِ السُّؤَالَيْنِ، شَجَعْتُهُمْ أَنْ يَكُونُوا صَادِقِينَ - وَلَقَدْ
كَانُوا صَادِقِينَ جَدًّا. كُنْتُ أَنَا مِنْ أَسَسِ هَذِهِ الْكَنِيسَةِ، وَمُعْظَمُهُمْ كَانُوا يَحْضُرُونَ لِعِدَّةِ
سِنَوَاتٍ. وَكَانُوا قَدْ سَمِعُوا تَعْلِيمِي أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. وَلَقَدْ صُدِمْتُ عِنْدَمَا قَالَ أَحَدُهُمْ،
"لِلْمَرَّةِ الْأُولَى فِي حَيَاتِي أَرَى أَنَّ يَسُوعَ قَالَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ أَوْلِيَايَاتِي. وَأَنَّ مَلَكُوتَ
اللَّهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ أَوْلِيَايَاتِي. فَهَذَا مَا يُعَلِّمُ بِهِ يَسُوعُ بِوَضُوحٍ هُنَا. وَلَكِنِّي لَمْ أَرَ هَذِهِ
الْحَقِيقَةَ مِنْ قَبْلِ." ثُمَّ قَالَ خِلَالَ إِجَابَتِهِ عَلَى السُّؤَالِ الثَّانِي، "بِنَاءً عَلَى طَرِيقَةِ عَيْشِي،
لَأَكُونَ صَرِيحًا تَمَامًا، أَهْمُ أَمْرٍ فِي حَيَاتِي هُوَ أَنَا، زَوْجَتِي، طِفْلِي، تَقَاعُدِي، وَأَمَانِي - وَمَا
شَابَهُ ذَلِكَ. أَتَسَاءَلُ مَا إِذَا كَانَ لِيَسُوعَ أَيُّ مَكَانٍ فِي أَوْلِيَايَاتِي."

وَعِنْدَمَا كَانُوا جَمِيعًا قَدْ أَجَابُوا عَلَى أَسْئَلَتِي بِطَرِيقَةٍ مُشَابِهَةٍ، شَارَكْتُهُمْ بِبِضْعَةِ أَعْدَادٍ
مِنَ الْإِصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. ثُمَّ قُلْتُ، "قَالَ يَسُوعُ، عِنْدَمَا تُؤَلِّدُونَ مِنْ جَدِيدٍ،
سَوْفَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَلِكَكُمْ. فَعِنْدَمَا تُؤَلِّدُونَ مِنْ جَدِيدٍ، سَوْفَ تَدْخُلُونَ
فِي عِلَاقَةٍ مَعَ اللَّهِ، حَيْثُ يَكُونُ اللَّهُ بِالْحَقِيقَةِ وَبِالْفِعْلِ مَلِكَكُمْ." هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَحْظَى
دَائِمًا بِالْمَكَانَةِ الْأُولَى فِي حَيَاتِكُمْ، الْأَمْرُ الَّذِي كَانَ سَيَجْعَلُ مِنْكُمْ كَامِلِينَ، وَلَكِنَّ هَذَا يَعْنِي
أَنَّكُمْ سَتَكُونُونَ عَلَى الْأَقْلُ قَدْ رَأَيْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي عِلَاقَةٍ مَعَهُ.

كانت هذه كنيسة إنجيلية، حيثُ اعترفَ كلُّ واحدٍ أَنَّهُ مَوْلُودٌ ثَانِيَةً عندما إنضمَّ إلى الكنيسة. فقلتُ لهؤلاءِ الشُّيوخِ، "كثيرونَ منكم قالوا أَنَّهُمْ لم يروا حقيقة المَلَكُوتِ من قبل، وكثيرونَ منكم كانوا صادقينَ ليقولوا أَنَّهُمْ لم يدخلوا بعدُ في هذا النوعِ من العلاقة مع الله، حيثُ يكونُ هُوَ مَلِكُكُمْ، والأولويةُ الأولى في حياتكم - وقِمةُ أولوياتِ أهدافكم. فإن لم تروا ملكوتَ الله في هذا الإطار، وإن لم تدخلوا إلى ملكوتِ الله، الأمران اللذان يُشكّلانِ أوَّلَ بُرهانينِ للولادةِ الثَّانيةِ، فأَيُّ حقٍّ لكم أن تدعوا أَنكم مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً؟"

عندما شاركَ يسوعُ بكلامه الدينيِّ معَ عَضُو السَّهَدَرِيمِ نيقوديموس، سألهُ هذا الأخيرُ سُؤالاً مرَّتين. وكانَ سُؤالُهُ، "كيف؟ كيفَ يُمكنُ للإنسانِ أن يُولدَ ثَانِيَةً؟ كيفَ يُمكنُ للإنسانِ وهوَ شَيْخٌ أن يُولدَ ثَانِيَةً؟ أَلَعَلَّهُ يدخلُ بطنَ أمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولدُ؟" يبدو أن يسوعَ إنزعَجَ من هذا السُّؤال. وأجابهُ يسوعُ بما معناه، "ها أنتَ مُعلِّمٌ مشهورٌ في إسرائيل. ولقدِ استُخدمتُ أمامَكَ إيضاحاً عادياً عامياً أرضياً، ولم تفهمهُ. فماذا ستفعلُ إن أخبرتُكَ بأُمُورٍ رُوحِيَّةٍ، مثلَ التَّالِيَةِ: وليسَ أحدٌ صَعَدَ إلى السَّمَاءِ، إلا الذي نزلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابنُ الإنسانِ الذي هُوَ في السَّمَاءِ."

بينما كانَ يسوعُ يَقُولُ هذا، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ كانَ يَنْظُرُ إلى عَيْنَي نيقوديموس. كانَ يسوعُ يَقُولُ مُعلِّمِ النَّامُوسِ المُمَيِّزِ هذا، أَنَّهُ هُوَ بِنَفْسِهِ كانَ في السَّمَاءِ في نفسِ الوقتِ الذي كانَ يَقِفُ أمامَهُ ويتكلَّمُ مَعَهُ. وعندما قدَّمَ يسوعُ هذا التَّصريحَ، لم يتجرأَ نيقوديموس ولا حتَّى بأن يسألَ، "كيف؟"

ثمَّ، وبهدفِ التفسيرِ والتلخيصِ، ذَكَرَ يسوعُ نيقوديموسَ بِقِصَّةِ مُسَجَّلَةٍ في سفرِ العدد. كانَ بنو إسرائيلِ في البرِّيَّةِ، وكانوا يتذمَّرونَ. وبما أنَّ اللهَ يكرهُ التَّذمُّرَ (عدد ١٤: ٢٦ - ٣١، فيلبي ٢: ١٤)، أرسلَ اللهُ حَيَّاتٍ لِتَلْسَعَ المُتذمِّرينَ. ثمَّ أرسلَ اللهُ رسالةَ رَحْمَةٍ، إذ أمرَ موسىَ بِإِقَامَةِ حَيَّةٍ نُحاسِيَّةٍ كعمودٍ في وسطِ الحَلَّةِ. وأعلَّنتِ رسالةَ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ مَنْ لَسَعَتْهُ الحَيَّةُ: "إن كانَ بإمكانكَ أن تزحفَ أو تجعلَ أحداً يَحْمَلُكَ إلى وسطِ الحَلَّةِ، حيثُ تتطَلَّعُ إلى الحَيَّةِ النُّحاسِيَّةِ، سوفَ تشفى من لَسَعَةِ الحَيَّةِ." (عدد ٢١)

قالَ بعضهم، "إنَّ مُجرَّدَ النَّظَرِ إلى قِطْعَةٍ مِنَ النُّحاسِ لن تشفيني من لَسَعَةِ أفعى." وهكذا ماتَ هؤلاءِ بِلَسَعَاتِ الأفاعي. ولكن قالَ آخرونَ، "بالحقيقة لا نفهمُ كيفَ يُمكنُ

مُجَرَّدَ النَّظَرِ إِلَى الْحَيَّةِ النَّحَاسِيَّةِ أَنْ يَشْفِيَّ مِنْ لَسَعَاتِ الْأَفَاعِي، وَلَكِنَّ هَذَا هُوَ أَمَلُنَا الْوَحِيدُ. "فَتَدَبَّرُوا أَحَدًا لِيَنْقَلَهُمْ أَوْ لِيَجْرَهُمْ، أَوْ زَحَفُوا بِأَنْفُسِهِمْ إِلَى وَسْطِ الْحَلَّةِ، وَنَظَرُوا إِلَى تِلْكَ الْحَيَّةِ النَّحَاسِيَّةِ. وَشَفِيُوا مِنْ لَسَعَاتِ الْأَفَاعِي. مُجَرَّدَ نَظَرِهِمْ إِلَيْهَا بِإِيمَانٍ."

تُشَكِّلُ هَذِهِ مُجَرَّدَ مُعْجَزَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مُعْجَزَاتِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ الْمُتَعَدِّدَةِ، إِلَى أَنْ نَقْرَأَ الْإِصْحَاحَ الثَّلَاثَ مِنْ هَذَا الْإِنْجِيلِ. فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ فِي حَوَارِهِ مَعَ نِيْقُودِيْمُوسَ، قَدَّمَ يَسُوعُ أَكْثَرَ تَصْرِيحٍ عَقَائِدِيٍّ سَجَّلَهُ كِتَابُ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ (يُوحَنَّا ٣: ١٤ - ٢١). وَلِكِي نُنَفِّسَ وَنُلَخِّصَ، يُخْبِرُنَا هَذَا الْمُعَلِّمُ الْعَظِيمُ قَائِلًا: "يَنْبَغِي أَنْ أُرْفَعَ (أُصَلَّبَ) عَلَى الصَّلِيبِ. يَنْبَغِي أَنْ أُرْفَعَ عَلَى الصَّلِيبِ، لِأَنِّي ابْنُ اللَّهِ الْوَحِيدِ. وَكَابِنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ، بِمَوْتِي عَلَى الصَّلِيبِ سَأَصْبِحُ حَلَّ اللَّهِ الْوَحِيدِ لِمَشْكَالَةِ الْخَطِيئَةِ، لِأَنِّي الْمُخَلَّصُ الْوَحِيدُ مِنَ الْخَطِيئَةِ. عِنْدَمَا سَأُرْفَعُ عَلَى ذَلِكَ الصَّلِيبِ، إِنْ كَانَ النَّاسُ سَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِإِيمَانٍ وَأَنَا مُعَلَّقٌ عَلَى الصَّلِيبِ، تَمَامًا كَمَا كَانَ يُشْفَى أُولَئِكَ الَّذِينَ لَدَعْتَهُمُ الْحَيَاتُ. مُجَرَّدَ نَظَرِهِمْ إِلَى الْحَيَّةِ النَّحَاسِيَّةِ، كَذَلِكَ أَيْضًا فَإِنَّ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ بِعَيْنِ الْإِيمَانِ إِلَيَّ وَأَنَا مُعَلَّقٌ عَلَى الصَّلِيبِ، سَوْفَ يُشْفَوْنَ مِنْ مُشْكَالَةِ الْخَطِيئَةِ. وَسَوْفَ يُصْبِحُونَ مُقَدَّسِينَ، وَسَوْفَ يَحْصُلُونَ عَلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ خَالِدَةً."

بِحَسَبِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، كَانَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ اللَّهُ-الْإِنْسَانُ حَمَلَ اللَّهُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيَتَرَعَ خَطَايَا الْعَالَمِ. وَهُنَا نَتَعَلَّمُ مِنْ يَسُوعَ أَنَّهُ كَانَ سَيَجِدُ حَلًّا لِمَشْكَالَةِ الْخَطِيئَةِ بِمَوْتِهِ عَلَى الصَّلِيبِ بَدَلًا عَنَّا جَمِيعًا. وَلَقَدْ أَوْضَحَ يَسُوعُ هَذَا الْأَمْرَ تَمَامًا عِنْدَمَا قَالَ لِنِيْقُودِيْمُوسَ: "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بِذَلِكَ ابْنَهُ الْوَحِيدِ، لِكِي لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونَ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ." (يُوحَنَّا ٣: ١٦)

كَانَ هَذَا جَوْهَرًا مَا أَجَابَ بِهِ يَسُوعُ عَلَى سُؤَالِ نِيْقُودِيْمُوسَ لَهُ، "كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟" فَبِمَعْنَى مَا، كَانَ جَوَابُ يَسُوعَ عَلَى سُؤَالِ نِيْقُودِيْمُوسَ "كَيْفَ؟" بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ، "آمِنَ." مَاذَا يَعْنِي أَنْ نُؤْمِنَ؟ وَكَمَا أَشْرَتْ سَابِقًا، فِي كُلِّ إِصْحَاحَاتِ إِنْجِيلِهِ، يُخْبِرُنَا يُوحَنَّا وَيُظْهِرُ لَنَا مَاذَا يَعْنِي أَنْ نُؤْمِنَ. فِي هَذَا الْإِصْحَاحِ، نَجِدُ الْإِيمَانَ مُوضَّحًا وَمُفَسَّرًا بِأُولَئِكَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْحَيَّةِ النَّحَاسِيَّةِ وَيُشْفَوْنَ مِنْ لَسَعَاتِ الْأَفَاعِي.

وَبطَرِيقَةٍ مَا، مُجَرَّدَ فِعْلِ الْإِيمَانِ، نَنْظُرُ أَنَا وَأَنْتَ إِلَى يَسُوعَ عَلَى صَلِيبِهِ وَنَقُولُ لِلَّهِ، "أَنَا أُوْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُكَ الْوَحِيدِ؛ وَأَنَا أُوْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ حَلُّكَ الْوَحِيدَ لِمَشْكَالَةِ

الخطيئة، ويسوع هُوَ الْمُخَلَّصُ الْوَحِيدُ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. وَهَا أَنَا الْآنَ أُوْمِنُ بِإِبْنِكَ لِيَكُونَ مُخَلَّصِي الشَّخْصِيَّ.".

لقد كان يسوع يقول لنيقوديموس، ولك ولي، أن كل من يؤمن بإمكانه أن يولد من جديد. وإن كان لنا دور في الولادة الثانية، فإن دورنا في هذه المعجزة هو أن نؤمن. وهذا بسيط للغاية. دورنا هو أن نؤمن أن المسيح مات على الصليب من أجل خطايانا.

أما دور الله في الولادة الجديدة، فهو بعد أن يكون بإمكاننا أبدأ أن نفهمه. فأنت لم تتوجب عليك أن تفهم عملية الولادة الجسدية لكي تتمكن من أن تولد في هذا العالم. بل كنت غير قادر على أن تعمل شيئاً حياً ولا أدبك الجسدية. فأنت ولدت بكل بساطة. علم يسوع أنه ينبغي أن تولد من الروح. ولكنه لم يعلم أنه يتوجب علينا أن نولد أنفسنا روحياً. بل علينا أن نلبي بعض الشروط؛ علينا أن نقوم بما علينا، أي أن نؤمن، وعندها سيقوم الله بدوره. الله سيعطينا حياة أبدية خالدة من خلال إختيار الولادة الجديدة.

شبه يسوع دور الله في الولادة الجديدة بالريح. فنحن نسمع صوت الريح، ولكننا لا نراه. عندما يحدث إعصار كبير، يكون خبراء الطقس أول من يوافق أنه ليس بإمكاننا أن نتنبأ بالمكان الذي سيضربه ربح الإعصار في المرحلة المقبلة. وهكذا قدم يسوع هذه الإستعارة المجازية، ثم أعلن قائلاً، "هكذا كل من ولد من الروح." لن نفهم أبدأ دور الله في الولادة الجديدة، ولن يكون علينا أن نفهم دور الله لكي تولد ثانية. فدورنا كان بسيطاً جداً. ولقد لخص يسوع دورنا بكلمة واحدة: "آمن."

هذه الأعداد التي فسرتها ولخصتها، أصبحت أكثر تصريح عقائدي يقدمه يسوع، عندما قال لنيقوديموس أن كل من يؤمن بما قاله عن معنى موته على الصليب لن يدان، بل ستكون له الحياة الأبدية. ومن لا يؤمن يدان، ليس بسبب خطاياه، بل لأنه لم يؤمن بما قاله يسوع عن معنى موته على الصليب (يوحنا ٣: ١٦ - ١٨). هذا هو أكثر تصريح عقائدي يقدمه يسوع.

بالإضافة إلى كل ما شاركت به عن هذا التعليم الذي قدمه يسوع، كان يسوع يبعث برسالة من خلال هذه العضو المميز في السنهدريم، للقادة الدينيين للشعب اليهودي.

وكانَ جَوْهَرُ هذه الرِّسَالَةِ: "يَنْبَغِي أَنْ تُوَلَدُوا مِنْ فَوْقَ. يَنْبَغِي أَنْ تَبْدَأُوا بِهذه الطَّرِيقَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَبْدَأُوا مَعِي!"

الأسئلةُ الثالثُ

من هُوَ يَسُوعُ فِي الإِصْحَاحِ الثَّالِثِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا؟ يَسُوعُ هُوَ ابْنُ اللَّهِ الْوَحِيدِ. يَسُوعُ هُوَ حَلُّ اللَّهِ الْوَحِيدِ لِمُشْكِلةِ الخَطِيئَةِ. يَسُوعُ هُوَ المُخَلَّصُ الْوَحِيدُ مِنَ الخَطِيئَةِ الْمُرْسَلِ مِنَ اللَّهِ. وَلَيْسَ لَدَى اللَّهِ أَيُّ حَلٍّ آخَرَ، وَلَيْسَ لَدَيْهِ أَيُّ مُخَلَّصٍ آخَرَ، إِلَّا ابْنُهُ الْمَوْلُودُ الْوَحِيدُ، يَسُوعُ الْمَسِيحِ. هَذَا مِنْ هُوَ يَسُوعُ فِي الإِصْحَاحِ الثَّالِثِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا. وَمَا هُوَ الإِيمَانُ فِي هَذَا الإِصْحَاحِ؟ الإِيمَانُ هُوَ "أَنْظُرْ وَعِشْ." تُوجَدُ تَرْنِيمَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى صُورَةِ الحَيَّةِ التُّحَاسِيَّةِ المِحَازِيَّةِ، وَعُنْوَانُهُ، "أَنْظُرْ وَعِشْ." تَجَدَّدَ تشارلز هَادُون سِبُورْجِن، وَهُوَ أَحَدُ أعْظَمِ الوُعَاظِ الَّذِينَ كَرَّرُوا بِالْإِنْجِيلِ عِبْرَ التَّارِيخِ، تَجَدَّدَ عِنْدَمَا كَانَتْ تُرَنِّمُ هَذِهِ التَّرْنِيمَةَ. وَبِإِيمَانٍ بَسِيطٍ، رَأَى الحَقِيقَةَ أَنَّ إِنْجِيلَ يَسُوعِ الْمَسِيحِ هُوَ بِيَسَاطَةٍ، "أَنْظُرْ وَعِشْ." هَذَا أَيْضاً هُوَ الإِيمَانُ فِي الإِصْحَاحِ الثَّالِثِ مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا.

وَمَا هِيَ الحَيَاةُ فِي يُوحَنَّا ٣؟ الحَيَاةُ هِيَ أَنْ تُوَلَدَ ثَانِيَةً. تَبْدَأُ الحَيَاةُ عِنْدَمَا تُوَلَدُ مِنْ جَدِيدٍ، وَعِنْدَمَا نَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ وَنَدْخُلُ مَلَكُوتَ اللَّهِ. فَالحَيَاةُ هِيَ أَنْ نَرَى أَنَّ اللَّهَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَلِكَنَا. الحَيَاةُ هِيَ الدُّخُولُ فِي عِلَاقَةٍ مَعَ اللَّهِ، حَيْثُ يَكُونُ هُوَ بِالحَقِيقَةِ مَلِكَنَا.

أَيُّهَا الصَّدِيقُ العَزِيزُ، أَحْتَمُّ هَذَا الكُتِيبَ بِطَرَحِي هَذَا السُّؤَالِ عَلَيْكَ: هَلْ سَبَقَ وَنَظَرْتَ إِلَى يَسُوعِ كَالْحَلِّ الْوَحِيدِ لِمُشْكِلةِ الخَطِيئَةِ عِنْدَكَ؟ وَهَلْ آمَنْتَ لَيْسَ فَقَطْ بِعَقْلِكَ بَلْ وَأَيْضاً بِقَلْبِكَ أَنَّهُ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَاكَ؟ وَهَلْ وُلِدْتَ ثَانِيَةً؟ وَهَلْ رَأَيْتَهُ كَمَلِكِ حَيَاتِكَ؟ إِنْ كَانَ جَوَابُكَ هُوَ بِالنَّفْيِ، أَرْجُو أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ الإِصْحَاحَاتِ الثَّلَاثَةَ الْأُولَى مِنْ إِنْجِيلِ يُوحَنَّا مُجَدِّدًا، وَأَنْ تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُسَاعِدَكَ أَنْ تَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ وَأَنْ تَدْخُلَهُ.

إِنْ كُنْتَ قَدْ دَخَلْتَ إِلَى مَلَكُوتِهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَابِعًا لِلْمَسِيحِ، أَحْضُكَ عَلَى أَنْ تُشَارِكَ فَرَحَ خِلاصِكَ مَعَ كُلِّ الَّذِينَ يَجْعَلُكَ اللَّهُ تَلْتَقِيهِمْ فِي حَيَاتِكَ. وَكَمَا قَالَتْ مَرِيَمُ لِلخُدَّامِ، أَحْضُكَ عَلَى أَنْ تَكُونَ مُطِيعًا وَأَنْ تَفْعَلَ مَهْمَا قَالَهُ لَكَ يَسُوعُ.